شعراء

العصر المملوكي

أبو الحسين الجزار

جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد الجزار المصري، شاعر من ذوي الحرف

ولد بالفسطاط ونشأ فيها، يعمل بالجزارة كأبيه وأقاربه ولكن ظهرت عليه وهو صغير دلائل حب الشعر وإنشاده، ترك الجزارة حرفة أبيه وتكسب بالشعر فاتصل بالحكام والوزراء والأمراء والكتاب ومدحهم ونال عطاءهم ولكن على الرغم من ذلك لم يجد سوق الأدب مربحة ويظهر أنه كان كريماً شديد الإسراف لا تكاد خلته تنسد مما جعله كثيراً ما يشكو الفقر والحاجة ومعاداة الأيام له، فلما وجد مهنة الأدب قد أورثته الخمول ولم تسد حاجته حن إلى حرفة الجزارة عساه يجد فيها بحبوحة العيش التي لم يوفرها له اشتغاله بالأدب

وكان له صديقان شاعران هما: السراج والحمامي وهو ثالثهما الجزار، وكانوا يتطارحون الشعر وقد ساعدتهم صنائعهم وألقابهم على التفوق في نظم التورية ، وما أجمل تصويره لذلك في قوله:

لا تلمني يا سيد شرف

الدين إذا ما رأيتني قصابا

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت

حفاظاً وأرفض الآدابا

وبهـــا أضـــحت الكـــلاب ترجّينـــي

وبالشـــعر كنـــت أرجـــو الكلابـــا

ومن أشعاره في حرفته

حســـبي حرافـــاً بحرفتـــي حســـبي

أصـــبحت منهـــا معـــذب القلـــب

موســـخ الثـــوب والصـــحيفة مـــن

طـــول اكتســـابي ذنبـــاً بـــلا كســـب

أعمـــل فـــي اللحـــم للعشـــاء ولا

أنـــال منـــه العشـــا فمـــا ذنبـــي

وقال يمدح الظاهر بيبرس، ويذكر طواف المحمل والنداء في الناس بالحج سنة ٦٦٤هـ:

دَعاكَ لنصْـرةِ البيـتِ العتيـقِ فأمكنَ منْ يحـجُّ لـه الطريـقْ

ونادتـك المشـاعرُ واثقـاتٍ فـتَمّ لهـا بهمّتِـك الوثـوقْ

ومثلك من يغـوثُ إذا اسـتغاثت بهمّتـه وغيـرك مـن يعـوقْ

لقــدْ أوْسَــعتَ بيــتَ اللهِ بــرًّا ... وكانَ من الملــوكِ لَــهُ عُقُــوقُ

وقد أدنيــتَ منــه كُــلَّ قَــاصٍ ... يبيــتُ وقَلبُــهُ قَلْــبٌ مَشُــوقُ

لقد خفّفــتَ فيــه عــن الرعايــا ... وقد حمّلــتَ بــه مَــا لا يطيــقُ

وقمــتَ مقَــامَ إبــراهيم فيــه ... فلم يبعــدْ بــكَ الفَــجُّ العَميــقُ

وفي حَرَمِ الرسولِ فعلتَ أيضًــا ... من الحسَنَاتِ أحْسَــن مــا يليــقُ

لقد أثلجتَ صَــدْرَ الحَــقِّ حتّــى ... تلاشَى وانطَفَــى ذَاكَ الحَرِيــقُ

وأمّنْــتَ الــبلادَ وَســاكنيها ... فبعــدَ اليــومِ لا عُــقَّ العَقيــقُ

جزَاكَ اللهُ أحْسَــنَ مــا يُجَــازي ... بــه ملــكٌ بمكّتَــهِ شَــفيقُ

جَميــعُ زمانــه أيــامُ حــجٍّ ... فــلا رَفَــثٌ بهــنَّ ولا فُسُــوقُ

وطافَ المحملُ البلــدين يجلــى ... على الأبْصَارِ مَنْظَــرُهُ الأنيــقُ

فكــانَ بــه لأفئــدةِ الأعَــادي ... وللرّايــاتِ يَومئــذٍ حُقُــوقُ

وجيشُــكَ للعجــاجِ يثيــرُ لــيلاً ... لوجهــكَ فــي نُجُنّتــهِ شُــرُوقُ

وصدرُكَ لا يضيقُ بمَــا حَــوَاه ... ولَو كانَ الفضــاءُ بــه يَضيــقُ

لقد نَصَرَ الهدى والحَقَّ مَلِكٌ بأمرِ الدِّينِ والدُّنيا خَليقُ

يفكِّرُ بالمصَالِحِ لا صَبوحٌ له من دُونَهُنَّ ولا غَبوقُ

وبينَ الظاهرِ السلطانِ فاعلمْ وبينَ سِوَاهُ في هذا فروقُ

وفي الملكِ السَّعيدِ شمائلٌ من أبيهِ وحَسْبُكَ الأصلُ العَريقُ

فداما للرَّعيَّةِ ما تَغَنَّى حمامٌ وانثنى غُصْنٌ وَرِيقُ

وفي رثاه الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول :

أمَّا الفتاوى فعليها السَّلام

مُذْ فُقِد الشيخ ابن عبد السلامْ

مَاتَ فمَنْ يوضحُ أشْكالها

ويعرفُ الحِلُّ بها والحرامْ

إنَّا إلى اللهِ لفقدِ امرئٍ

قامَ بحقِّ اللهِ حَقَّ القِيَامْ

من للتفاسيرِ وتَحْرِيرِهَا

مَنْ (للأُصُولِيِّ) وعلمِ الكَلامْ

كُـــلُّ أخـــي عِلْـــمٍ بكَـــى فقـــدَهُ

لأنَّـــهُ فـــي كُـــلِّ عِلْـــمٍ إمَـــامْ

كـــمْ دَعْـــوةٍ منـــكَ غنينَـــا بهَـــا

عـــن ذابـــلٍ يَـــومِ الـــوَغَى أوْ حُسَـــامْ

مَـــنْ للـــذِي يَطْمَـــعُ فـــي جُـــودِهِ

بعـــدكَ إن ضَنَّـــنَّ بِغَيـــثٍ غَمَـــامْ

ومَـــنْ بقـــى ينصـــرُ إخوانَـــه

ويحفـــظُ العهـــدَ ويَرْعَـــى الـــذِّمامْ

لا تقـــدرُ الأمـــلاكُ تثنيـــكَ عـــن

حـــقٍّ وكَـــمْ أغْـــرَاكَ مِـــنْهم مَـــلامْ

زُخْرِفَـــتِ الجَنَّـــةُ شَـــوقًا إلـــى

وجـــهٍ لـــه تشـــتاقُ دارُ الســـلامْ

والحُـــورُ فـــي أبوابهَـــا قـــد غـــدا

لَهـــا علـــى رُؤْيَـــاكَ أيّ ازدحـــامْ

ابن النبيه المصري

هو كمال الدين علي بن محمد بن الحسن الملقب بـ (ابن النبيه المصري) أحد شعراء العصر العباسي ؛عاش في مصر أثناء حكم الأيوبيين .

نشأته وحياته :-

ولد بمصر عام ٥٦٠ هجريّة ،وارتاد كُتّاب حفظ فيه القرآن الكريم وبعض الأشعار على عادة أقرانه في هذه الأوقات، ثم أخذ يتردد على حلقات العلماء والأدباء، وتفتحت ملكته الشعرية، وطمح إلى الالتحاق بدواوين صلاح الدين الأيوبي ووزيره الكاتب البليغ القاضي الفاضل راعي الأدباء في عصره.

تولى بمصر ديوان الخراج والحساب، ومدح الملوك من بنى أيوب، ووزراء تلك الدولة وأكابرها، ثم اتصل آخراً بخدمة الملك الأشرف مظفر الدين أبى الفتح موسى بن محمد بن أيوب بن شادي، فانتظم في سلك شعراء دولته.

خصائص شعره:-

ينتمى شعر ابن النبيه إلى مدرسة عرفت بمدرسة الرقة، وطريقتها التي عرفت بالطريقة الغرامية ، وهذه المدرسة ظهرت في العصر العباسى وازدهرت في عصر الفاطميين والأيوبيين وتتسم مدرسة الرقة بالألفاظ اللينة ويحور الشعر المجزوءة أو القصيرة، ولا يظهر في فنها أي لون من ألوان التكلف، وقلّ أن يجد ألوان الزينة اللفظية إلا ما جاء للتطرف، وأكثر شعراء هذه المدرسة من الغزليين ولذا عرف مذهبهم في العصر الأيوبي بالطريقة الغرامية.

ومن مشهور قصائده :-

- أفديه إن حفظ الهوى.
- قل للبخيلة بالسلام تودعا.
- أماناً أيها القمر المحلل.

وفاته :-

مات ابن النبيه سنة ٦١٩ هجريّة في نصيبين. وقال الملك الأشرف عند موته - وكان معجبا بمحاسن شعره -" مات رب القريض".

من شعره :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا ... ملك الفؤاد فما عسى أن أصنعا

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه ... حلوا فقد جهل المحبة وادعى

يا أيها الوجه الجميل تدارك الصب ... النحيل فقد عفا وتضعضعا

هل في فؤادك رحمة لمتيم ... ضمت جوانحه فؤادا موجعا

فتش حشاي فأنت فيه حاضر ... تجد الحسود بضد ما فيه سعى

هل من سبيل أن أبث صبابتي ... أو أشتكي بلواي أو أتضرعا

إني لأستحيي كما عودتني ... بسوى رضاك إليك أن أتشفعا

يا عين عذرك في حبيبك واضح ... سحي لوحشيته دما أو ادمعا

الله أبدى البدر من أزراره ... والشمس من قسمات موسى أطلعا

الأشرف الملك الذي ساد الورى ... كهلا ومكتمل الشباب ومرضعا

ردت به شمس السماح على الورى ... فاستبشروا ورأوا بموسى يوشعا

سهل إذا لمس الصفا سال النـدى صعب إذا لمس الأشـم تصـدعا

دان ولكن مـن سـؤال عفاتـه سام على سمك السـماء ترفعـا

يا برق هذا منك أصـدق شـيمة يا غيث هذا منك أحسن موقعـا

يا روض هذا منك أبهج منظـرا يا بحر هذا منك أعذب مشـرعا

يا سهم هذا منك أصوب مقصـدا يا سيف هذا منك أسرع مقطعـا

يا صبح هذا منك أسـفر غـرة يا نجم هذا منك أهـدى مطلعـا

حملت أنامله السيوف فلـم تـزل شـكرا لـذلك سـجدا أو ركعـا

حلت فلا برحت مكانا لـم يـزل من در أفواه الملـوك مرصـعا

أمظفر الدين استمع قـولي وقـل لعثار عبـد أنـت مالكـه لعـا

أيضيق بي حرم اصطناعك بعدما قد كان منفرجـا علـي موسـعا

ومن رائع شعره :

أمانا أيها القمر المطل

أمانـــا أيهـــا القمـــر المطـــل ... علـــى جفنيـــك أســـياف تســـل

يزيد جمال وجهـك كـل يـوم ... ولي جسـد يـذوب ويضـمحل

وما عرف السقام طريق جسـمي ... ولكـــن دل مـــن أهـــوى يـــدل

يميـل بطرفـه التركـي عنـي ... صدقتم إن ضـيق العـين بخـل

إذا نشـــرت ذوائبـــه علـــي ... ترى مـــاء يـــرف عليـــه ظـــل

وقد يهدي صـباح الخـد قومـا ... بليل الشعر قـد تـاهوا وضـلو

أيا ملـك القلـوب فتكـت فيهـا ... وفتكـك فـي الرعيـة لا يحـل

قليل الوصل يقنعهـا فـإن لـم ... يصـــبها وابـــل منـــه فطـــل

أدر كأس المدام علـى النـدامى ... ففـي خـديك لـي راح ونقـل

فنيرانـــي بغيـــرك لـــيس تطفـــا ... وأشـــواقي بغيـــرك لا تبـــل

بمنظـــرك البـــديع تـــدل تيهـــا ولـــــي ملـــــك بدولتـــــه أدل

أبو الفتح الكريم الطلـق موســـى فتـــى يعطـــي الكثيـــر ويســـتقل

به اخضرت فجاج الأرض خصـــبا فمـــا للمحـــل فـــي بلـــد محـــل

أغر على ســـرير الملـــك منـــه ســـليمان وأهـــل الأرض نمـــل

باكر صبوحك أهنى العيش باكره

باكر صبوحك أهنى العيش باكره ... فقد ترنم فـوق الأيـك طـائره

والليل تجري الدراري في مجرته ... كالروض تطفو على نهر أزاهره

وكوكب الصبح نجاب على يـده ... مخلـــق الـــدنيا بشـــائره

فانهض إلى ذوب ياقوت لها حبب ... تنوب عن ثغر من تهوى جواهره

حمراء في وجنة الساقي لها شبه ... فهل جناها مع العنقود عاصـره

ساق تكون من صبح ومن غسق ... فابيض خداه واسـودت غـدائره

بيض سـوالفه لعـس مراشـفة ... نعس نواظره خـرس أسـاوره

مفلج الثغر معسول اللمى غـنج ... مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره

مهفهف القد يندى جسـمه ترفـا ... مخصر الخصر عبل الردف وافـره

تعلمت بانـة الـوادي شـمائله ... وزورت سـحر عينيـه جـاذره

كأنـه بسـواد الليـل مكتحـل ... أو ركبت فوق صدغيه محـاجره

نبـــي حســـن أظلتـــه ذوابتـــه وقام في فترة الأجفـان نـــاظره

فلو رأت مقلتـــا هـــاروت آيتـــه الكبرى لأمن بعد الكفر ســـاحره

قامت أدلـــة صـــدغيه لعاشـــقه على عذول أتـــى فيـــه ينـــاظره

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما وأنت نـــاه لهـــذا الـــدهر آمـــره

فالعمر كالكأس تســـتحلى أوائلـــه لكنـــه ربمـــا مجـــت أواخـــره

واجسر على فرص اللذات محتقـــرا عظـــيم ذنبـــك إن الله غـــافره

فليس يخذل في يوم الحساب فتى والناصر ابن رسول الله ناصـــره

إمام عـــدل لتقـــوى الله باطنـــه وللجلالـــة والإحســـان ظـــاهره

تجسد الحق فـــي أثنـــاء بردتـــه وتوجت باسمه العـــالي منـــابره

له على سر ستر الغيب مشترف فمـــا مـــوارده إلا مصـــادره

تنجست بـــدم القتلـــى صـــوارمه وطهرت بيـــد التقـــوى مـــآزره

إذا حبا أغنت الأيـــدي مواهبـــه وإن سطا سدت الدنيا عســـاكره

أين المفر لمن عـــاداه مـــن يـــده والوحش والطير أتباع تســـايره؟

إن يصعد الجو ناشـــته خواطفـــه أو يهبط الأرض غالته كواســـره

يا جامعا بالعطايا شـــمل عترتـــه كالقطب لولاه ما صحت دوائـــره

ابن دقيق العيد

محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي أبو الفتح تقي الدين، ابن دقيق العيد.

مولده ونشأته :

ولد سنة خمس وعشرين وستمائة من الهجرة ، في البحر الأحمر عند ساحل ينبع، حيث كان والده مجد الدين القشيري القوصي متوجهاً إلى الحج.

قال ابن حجر: ولد بطريق مكة فِي المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة ويقال إن والده طاف بِهِ عَلَى يديه ودعا لَهُ بالعلم والعمل.

حفظ القرآن، وسمع الحديث من والده الشيخ مجد الدين القشيري، وأبي الحسن بن هبة الله الشافعي، والحافظ المنذري وغيرهم من العلماء .

نشأ ابن دقيق العيد في مدينة قوص التي كانت تشتهر في ذلك الوقت بمدارسها العديدة ونهضتها الثقافية الواسعة، تحت رعاية والده مجد الدين القشيري الذي تخرج على يديه الآلاف من أبناء الصعيد، كما يشير إلى ذلك الأدفوي في "طالعه السعيد" في تراجم متفرقة.

وقد عاش شبابه تقياً نقياً ورعاً طاهر الظاهر والباطن، يتحرى الطهارة في كل أمر من أمور دينه ودنياه، فحفظ القرآن الكريم حفظاً تاماً، وتفقه على مذهب الإمام مالك على يد أبيه، ثم رجع وتفقه على مذهب الإمام الشافعي على يد تلميذ أبيه البهاء القفطي، كما درس النحو وعلوم اللغة على يد الشيخ محمد أبي الفضل

المرسي، وشمس الدين محمود الأصفهاني، ثم ارتحل إلى القاهرة التي كانت في ذلك الوقت مركز إشعاع فكري وثقافي يفوق كل وصف، تكتظ بالعلماء والفقهاء في كل علم وفن، فانتهز ابن دقيق العيد هذه النهضة العلمية الواسعة التي شهدتها القاهرة في ذلك الوقت، والتف حول العديد من العلماء، وأخذ على أيديهم في كل علم وفن في نهم بالغ، ولازم سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام حتى وفاته، وأخذ على يديه الأصول وفقه الإمام الشافعي.

ومكث بالقاهرة فترة يسيرة، اتجه على أثرها إلى مسقط رأسه قوص، حيث تقلد منصب التدريس بالمدرسة النجيبية، وهي إحدى المدارس الشهيرة في قوص، وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره، فالتف حوله المريدون يأخذون على يديه في مختلف الفنون والمعرفة الإسلامية، وقد عرف بغزارة علمه وسعة أفقه، فذاع صيته بين الناس حتى إن والي قوص أسند إليه منصب القضاء على مذهب الإمام مالك، ثم اتجه بعد ذلك إلى القاهرة، وقام فيها بالتدريس بالمدرسة الفاضلية، والكاملية، والصالحية، والناصرية، وكان ثقة في كل ما يقول أو يشرح حتى بلغ في النفوس مكانة سامية مرموقة.

ووصل الفتى بجدّه وذكائه ومثابرته في الدرس وتحصيل العلوم إلى مرتبة قاضي قضاة المسلمين في العصر المملوكي.

وقد وصفه كثير من المؤرخين وكتّاب التراجم والطبقات كالسبكي وابن فضل الله العمري والأدفوي وغيرهم: بأنه لم يزل حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه.. وقف نفسه على العلوم وقصدها، فأوقاته كلها معمورة بالدرس والمطالعة أو التحصيل والإملاء.

وفاته :

توفي سنة ٧٠٢ هـ . ودفن السبت بسفح المقطم شرق القاهرة. وكان يوماً مشهوداً.

من أشهر مؤلفاته :

- الإلمام الجامع أحاديث الأحكام، في عشرين مجلداً، وهو من أعظم ما صُنف في مجاله.
- شرح كتاب التبريزي في الفقه.
- شرح مقدمة المطرزي في أصول الفقه.
- الاقتراح في علوم الاصطلاح.
- اقتناص السوانح.
- شرح مختصر ابن الحاجب.
- ديوان شعر.

من شعره :

قد جرحتنا يد أيامنا

قـــد جرحتنـــا يـــد أيامنـــا ... ولـــيس غيـــر الله مـــن آســـي

فلا تُـــرجّ الخلـــق فـــي حاجـــة ... ليســـوا بأهـــل لســـوى اليـــاس

ولا تـــزد شـــكوى إلـــيهم فـــلا ... معنـــى لشـــكواك إلـــى قاســـي

فـــإن تخـــالط مـــنهمُ معشـــراً ... هويت في الدين علـــى الـــراس

يأكل بعـــضٌ لحـــم بعـــض ولا ... يحسب في الغيبـــة مـــن بـــاس

لا ورعٌ فـــي الـــدين يحمـــيهمُ ... عنهـــا ولا حشـــمة جـــلاس

لا يعـــدم الآتـــي إلـــى بـــابهم ... من ذلة الكلب ســـوى الخاســـي

فاهرب من النـــاس إلـــى ربهـــم ... لا خير فـــي الخلطـــة بالنـــاس

ومن شعره :

يهيم قلبي طربا عندما

يهـــيم قلبـــي طربـــاً عنـــدما أســـتلمح البـــرق الحجازيـــا

ويســـتخف الوجـــد قلبـــي وقـــد أصبح لي حســـن الحجـــى زيـــا

يا هل أقضّي حاجتي مـــن منـــى وأنحـــر البـــزل المهاريـــا

وأرتوي من زمـــزمٍ فهـــو لـــي ألـــذ مـــن ريـــق المهاريـــا

ابن دانيال

شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف بن معتوق الخزاعي الموصلي لقب ب الشيخ والحكيم . طبيب رمدي (كحال) وشاعر وفنان عاش في العصر المملوكي وبرع في تأليف تمثيليات خيال الظل وتصوير حياة الصناع والعمال واللهجات الخاصة بهم وحاكى بطريقة مضحكة لهجات الجاليات التي كانت تعيش في مصر في زمنه. من أشهر تمثيلياته التي لا تزال مخطوطاتها موجودة "طيف الخيال "، و" عجيب غريب " و" المتيم وضائع اليتيم ". تعتبر أعماله تصويرا حيا لعصره. وصفه المؤرخ المقريزى بأنه كان كثير المجون والشعر البديع، وأن كتابه طيف الخيال لم يصنف مثله في معناه.

حياته:

ولد ابن دانيال بالموصل في فترة حافلة بالأحداث شهدت توغل المغول داخل الحدود الشرقية للعالم الإسلامي.

درس ابن دانيال القرآن في الموصل وتلقى العلم في مدارسها. وكانت الموصل في ذاك العصر من أهم مراكز العلم والثقافة في العالم الإسلامي. وفي عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م وهو لم يزل صبياً هجم المغول بقيادة هولاكو على بغداد فدمروها وقتلوا الخليفة العباسي المستعصم، وقضوا على حضارتها وفنونها وعمائرها وطاردوا علمائها ومفكريها فقتلوا منهم بعض وفر منهم بعض نزحوا إلى بلاد آمنة

بعيدة عن بطشهم. ثم احتل المغول الشام ودخلوا دمشق ولم يعد للمسلمين معقل يزود عنهم سوى مصر.

في عام ١٢٦٠م تمكن قطز سلطان مصر المملوكي من هزيمة المغول في معركة عين جالوت التاريخية ودخلت جيوش المسلمين دمشق وحررتها. وأرغم المغول على التراجع إلى العراق التي بقيت تحت سطوتهم وطلت جريحة تنزف علمائها ومفكريها وتعمها الفتن والتفكك والمجاعات بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمة الإسلامية.

في عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧م نزح ابن دانيال وهو في التاسعة عشرة من عمره إلى مصر مع غيره من العلماء والأدباء والمفكرين. ودخل القاهرة في عهد السلطان الظاهر بيبرس. وكان عهد بيبرس عهد حزم وجهاد ضد المغول والصليبيين خال من اللهو والهزل. وعندما وصل ابن دانيال القاهرة وجد بيبرس قد أصدر مراسيماً تمنع الملاهي والموبقات.

وأتقن ابن دانيال لهجة وألفاظ المصريين في سرعة. وكان يتقن كتابة الشعر حتى وصفه المؤرخ ابن إياس بأنه كان شاعراً ماهراً. ولكنه عاش في بدايات حياته بمصر في فاقة وقلة مورد. وكان وقتها يعمل كحالاً. وفي تصوير شعري لحاله في تلك الفترة مستخدماً ألفاظاً مصرية يقول:

" يا سائلي عن حرفتي في الوري وضيعتي فيهم وإفلاسي.

ما حال من درهم إنفاقه بأخذه من أعين الناس"

خيال الظل

اتجه ابن دانيال إلى خيال الظل وقد كان وسيلة الترفيه الرائجة في تلك الأيام وأكثر وسائل التسلية شيوعا وانتشارا. وكان الناس من كل الطبقات الاجتماعية يقبلون على مشاهدة عروضه، بما فيهم السلاطين. وقد عرف المصريون في العصر المملوكي بأنهم " ذوو طرب وسرور ولهو" كما وصفهم الرحالة ابن بطوطة الذي زار مصر في ذاك العصر.

وبرع ابن دانيال في هذا الفن فكان هو الذي يؤلف الرواية وهو الذي يكتب حوارها ويلحنها ويعين أزيائها وينظم الأصوات فيها وفوق ذلك كان يشترك بنفسه في أدائها. فكان بذلك هو المؤلف والمخرج والموسيقي والمغني والممثل.

في المرحلة الأولى من عمله في مجال خيال الظل كانت لإبن دانيال دكان كحل في داخل باب الفتوح [١٠]. فكان حينذاك يجمع بين مهنتي الكحالة و" المخايلة ". وفي جزء من الليل كان يؤلف ويدون. ولكنه لم يستمر على هذه الحالة طويلاً، إذ سرعان ما اشتهر وذاع صيته في مجال المخايلة. وصار أرباب الدولة والأمراء يسعون إلى التعرف عليه وينعمون عليه بالهبات والعطايا ويدعونه إلى حفلاتهم ومجالسهم للترفيه عنهم وضيوفهم بعروضه وأشعاره وظرفه وخفة روحه. ففي تلك الأيام كانت عروض خيال الظل تنقل إلى علية القوم ولا ينتقلون هم إليها. وظل ابن دانيال يعمل على هذا النحو إلى أن أصبح يحصل على راتب من الديوان ، وتحسنت أحواله.

نـزح ابـن دانيـال إلى مصـر في سـنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م وتـوفي فيهـا في سنة ٧١٠ هـ / ١٣١١ م، وبذلك يكون قد عاش في مصر نحو أربعة وأربعين سنة وشهد عهود أكبر سلاطين دولة المماليك البحرية وهم : الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، والأشرف خليل، والناصر محمد بن قلاوون.

من جميل شعره :

هز النسيم معاطف الأغصان

هزّ النّسيمُ معاطفَ الأغصان

فانشق قلب شقائق النعمان

وتَبَسّمَ الروضُ الأريضُ عن الرُبى

بالاقحوان تبسم الجذلان

وأبانَت العجمُ الفصاحُ عن الجوى

والشّوق صنّحاً في غصون البان

يا حبّذا وادي السّدير فإنّهُ

مأوى المها ومراتعُ الغزلان

وادٍ يزورُ الطيرُ ناضرَ روضه

زمنا فيلهيه عن الأوطان

يا سَعدُ قد جاء الربيـــعُ وأصـبحتْ

تلـــكَ الجنـــانُ مـــواطنَ الولـــدان

وغدا جليلُ الطير يهتفُ بالضـــحى

بغرائـــب الأنغـــام والألحـــان

فاتبعْـــه بالأوتـــار حســـاً مُطربـــاً

قلبـــاً يَهُـــمُّ إليـــه بـــالطيران

من كُلِّ كركـــيّ تســـامى صـــاعداً

كـــالمبتغي ذكـــراً لَـــدى كيـــوان

لَطَـــم السّـــحابَ جَنَاحـــهُ بمثالـــه

وأجابَ صوْتَ الرّعد منـــه بثـــان

ولِوَزّهُ مِثـــلُ الخريـــدَة صَـــدْرُها

فَعْـــم وَجوْجُوْهـــا بـــديعُ معـــانِ

خنساءُ واضحةُ الجبـين صَـباحَة

جيـداءُ تنظـرُ نَظْـرَةَ النّشـوانِ

تَمشي فَتَسْبرُ كـلَّ روضٍ ناضِـرٍ

رَعْيـاً بِمنقـارٍ مِـنَ العُقيـانِ

أو لَغْلَـغ حَسَـنُ الشّـياة مُـدَبّج

مثـلَ العـروس تُـزَف ذا ألـوانِ

وأنيسـةٍ وشّـى نَهـارَ أديمهـا

ليـل نجـومُ ظَلامـه العينـانِ

وألـتَم نو الحُسـن الأتـم كيانُـهُ

در ومـن شـيحٍ لَـهُ رجـلانِ

وتخـالُ خـالاً لاحَ فـي منقـاره

من عَنْبَـرٍ مُلِهـي فـؤاد العـاني

وشُـبَيْطرٍ أَلِـفَ الجبـالَ تَرَفُّعـاً

وَسَـطًا بقوتـه علـى الثُبـانِ

أو مثـــل كـــي للوَقـــار كأنّـــه

قاضٍ يُـدينُ بحُكمـــه الخصـــمانِ

أو مثل غُرنوق شريفٍ لـم يَـزل

بِذؤابتيـــه مُشَـــرفَ الأقـــرانِ

والصّوغُ صيغَ منَ الملاحَـــة كُلّهـا

فَلِـــذاكَ يُســـبي نـــاظِرَ الإنســـانِ

أو مثـــلُ غَنّـــازٍ يُريـــك مـــدارعاً

ســـوداً كمثـــل مـــدارع الرُهبـــان

كالليـــل إلا أنّ أبـــيضَ صَـــدره

صُـــبح تَشَعْشَـــعَ واضـــحاً لِعيـــانِ

أو حُبْرُجٍ متَـــدرّعٍ نـــورَ الضُـــحى

مصَفَرٌّ لـــون مثـــل ذي اليَرقَـــانِ

أو مُرزمٍ قَدْ قَدَّ من شَـفَق الـدجى

ثوبـاً لَـهُ كـالورد أحمـرَ قـانِ

أو مثل نَسْـرٍ قـد تَسَـرْبَلَ حلّـةً

دكنـاءَ دونَ سُـمُوّه النسـرانِ

أو كالعُقاب أخي العقـاب بمنسـرٍ

وبمخلـبٍ يُفـري بِحَـدٍّ سِـنانِ

طيرٌ غـدا ملِـك الطيـور لأنـه

زَنكٌ المليـك الصّـالِح السُـلطانِ

أعني فتى المنصور ذا النصر الذي

أردى الطغـاة بذلّـة وهَـوانِ

ومن رائع شعره :

أصبحت أفقر من يروح ويغتدي

أصبحتُ أفقرَ مَن يَـروحُ ويَغتـدي

ما في يَدي مـن فـاتَني إلاّ يَـدي

في مَنزِلٍ لم يحْـوِ غيْـريَ قاعـداً

فمتى رَقَدتُ رَقَـدتُ غيـرَ مُمَـدَّد

لَمْ يبقَ فيهِ سوى رسـومِ حَصـيرةٍ

ومخـدَّةٍ كانَـتْ لأُمِّ المهتَـدي

تُلقى على طُرُّاحـةٍ فـي حَشْـوها

قمـلٌ شـبيهُ السمسـمِ المُتَبَـدِّدِ

والبقُّ أمثـالُ الصَّراصيـرِ خِلقـةً

من مُتْهمٍ فـي حَشْـوِها أو مُنْجـدِ

يجْعَلْــنَ جِلْــدي وارِمــاً فتخالُــه

من قَرْصهِنّ بــه يــذوبُ الجلمــدْ

وترى بَراغيثــاً بجســمي عُلِّقَــتْ

مثلَ المحاجمِ في المساء وفي الغَــدِ

وكذا البعوضُ يطيرُ وهــو بريشــهِ

فمتى تمكّنَ فــوقَ عــرقٍ يفصْــدِ

وتَرى الخنافس كالزنوجِ تصــفّقَتْ

منْ كُلِّ ســوداء الأديــمِ وأســودِ

ولَرُبّمــا قُرِنَــتْ بِجَمْــعٍ عقَــاربٍ

قتالــةٍ قــدرَ الحمــامِ الرُكّــدِ

وتقيمُ لــي عنــدَ المســاء زبانَهــا

فــأراهُ وهــو كإصــبع المتشــهدْ

هذا وكَمْ من ناشرٍ طــاوي الحشــا

يبــدو شــبيهَ الفتــكِ المتَســرّدِ

يُبدي إذا ما انسابَ صفحةَ جَـدولِ

عَبَثَتْ بـهِ ريـحُ الصَّـبا مُتَجعِّـدِ

والفارُ يَـركضُ كـالخيولِ تَسـابُقاً

من كُلِّ جَـرداءِ الأديـمِ وأجـرَدِ

يـأكُلنَ أخشـابَ السَّـقوفِ كمثـلِ

فاراتِ النِّجـارةِ إذْ تُحَـكُّ بمِبْـرَدِ

وكـأنَّ نسـجَ العنكبـوتِ وبَيْتَـه

شَعْرِيَّةٌ مـن فَـوْقِ مُقْلَـةِ أرمَـدِ

وكذاكَ للجِـرنَوْنِ صَـوْتٌ مثلُـهُ

في مَسْمَعي صوتُ الزِّنادِ المُصْـلَدِ

وإذا رأى الخُفَّـاشُ ضـوءَ ذُبالَـةٍ

عندي أضَـرَّ بِضَـوئها المتَوَقِّـدِ

وكأنَّمـا الزنبـورُ ألـبِسَ حُلَّـةً

مُوشـيَّةً أعلامُهـا بالعَسْـجدِ

مُتَـــرَنِّمٌ بـــينَ الـــذُبابِ مُغَـــرِّدُ

لا كـــانَ مـــنْ مُتَـــرَنِّمٍ وَمُغَـــرِّدِ

حَشَراتُ بيتٍ لـــو تَلَقَّـــتْ عَسْـــكراً

ولّى على الأعقـــابِ غيـــرَ مُـــرَدَّدِ

هـــذا ولـــي ثـــوبٌ تَـــراهُ مُرَقَّعـــاً

منْ كُلِّ لَونٍ مثـــل ريـــشِ الهُدْهُـــدِ

لولا الشَّقاوة مـــا وُلِـــدْتُ ولَيتنـــي

إذْ كانَ حظّـــي هكـــذا لـــم أولَـــدِ

ولكيفَ أرضـــى بالحيـــاة وَهمّتـــي

تسمو وَحَظّي في الحضيضِ الأوهدِ

وأرى السّعادةَ قد أُحِلّـــتْ مَعْشَـــراً

رَبَتَ العُـــلا لا بـــالنُّهى والسُـــؤدد

ابن سناء الملك

أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك. وهذا هو لقبه الذي شُهر به شاعر وأديب متميز. اختلف المؤرخون في سنة ولادته، ولد في مصر.

نشأ في ظل أسرة عريقة، نعمت بالغنى والثروة، وجمعت معها الفضل والمعرفة، وترعرع في كنف أب يرعاه، ويهتم بتعليمه وتثقيفه، فأحفظه القرآن الكريم، ودرّسه اللغة والنحو، فجمع في نشأته الأولى بين علوم الفقه والدين واللغة، وكان مُلمّاً ببعض اللغات الأجنبية المنتشرة في تلك الحقبة، كاللغة الفارسية التي كان يتقنها وينشر بعض إنتاجه بها، ويستخدم بعض الخرجات الفارسية في موشحاته، كما كان ملماً بعلوم الفلك، حتى كثرت إشاراته لأسماء الكواكب والنجوم والأفلاك ومنازلها، وما يدور حولها من قصص وأساطير.

كانت علاقاته وطيدة بمشاهير وعلماء عصره ويأتي على رأسهم علاقته بالقاضي الفاضل، الذي يقول عنه: « هو الأستاذ وأنا التلميذ له، والمتعلم منه ». فكانت بينهما مودة وتواصل بالرسائل، وكتاب « فصوص الفصول » حافل بالرسائل التي أرسلها القاضي الفاضل إلى ابن سناء الملك، والرد عليها، وهذه الرسائل تدل على الصلة الوثيقة بينهما، مما حمل الشعراء المعاصرين على حسده و كان لهذه الصلة أثر بارز في حياة ابن سناء الملك، لأن القاضي الأثير عند صلاح الدين الأيوبي جعل ابن سناء الملك مقرّباً من صلاح الدين وحاشيته فمدح من السلاطين صلاح الدين وأولاده العزيز والأفضل، وأخاه الملك العادل، ومن الوزراء ابن شكر. وقد استدعاه القاضي الفاضل إلى دمشق، ولكن حنينه إلى القاهرة أعاده سريعاً إلى مصر.

وعلى الرغم من أن ابن سناء الملك أقام بمصر إلا أن شهرته الشعرية طبقت الآفاق فعُرف بين شعراء مصر وشعراء الشام، زاد على ذلك أنه كانت له مجالس تجري فيها المحاورات والمفاكهات التي يروق سماعها، وكانت داره إحدى المنتديات التي جمعت أسباب الترف واللهو، ولكنه كان على جانب كبير من الأخلاق الكريمة، فيها الاعتدال والورع والتقوى والسموح والاعتداد بالنفس.

إنتاج ابن سناء الملك:

ترك ابن سناء الملك تراثاً رائعاً يأتي على رأسه:

- ديوانه الشعري، وهو ديوان بديع يشهد برسوخ قدمه في الشعر.
- دار الطراز في عمل الموشحات، وهو أول كتاب نظر للموشحات في تاريخ الأدب العربي كله، حيث قام ابن سناء الملك بوضع أصول وقواعد تعلم الموشح كما فعل الخليل مع الشعر، كما يتضمن عدداً كبيراً من الموشحات الأندلسية القديمة، وموشحات ابن سناء الملك.
- فصوص الفصول وعقود العقول، ويتضمن رسائله مع القاضي الفاضل.
- مختصر الحيوان للجاحظ .

من شعره :

قال يمدح الملك العادل

رجع الغـــرام إلـــى الحبيـــب الأول

فرجعـــت بعـــد تعـــذلي لتغزلـــي

ولبست أثـــواب الصـــبا مصـــقولة

وصقال ثوب هواي شـــيب تكهـــل

ومع المشيب فبعدُ عنـــدي صـــبوة

يبلى القميص وفيه عرف المنـــدل

ولقد نوى غصني ووجدي ما نوى

ولقد بليت ضنى وعشقي ما بلـــي

ما زلت اعشق كـــل شـــكل فـــاتن

حتى رميـــت بكـــل أمـــر مشـــكل

وكـــذاك قلبـــي مـــا يـــزال يحلـــه

عشق الغزال هوى وعشق المغزل

وأهـــيم بعـــد مقنـــع بمعمـــم

وأهـــيم بعـــد مخـــتم بمخلخـــل

مســـكية الأنفـــاس طيبـــة بـــلا

طيب وحالية الجمـــال بـــلا حلـــي

تمشـــي فتعلقهـــا ذوائـــب شـــعرها

فكأنمـــا هـــي ظبيـــة فـــي أحبُـــل

سمراء ذابلـــة المعـــاطف واللمـــى

لكـــن وردة خـــدها لـــم تـــذبل

ومن السـعادة أننـي فـي خدمـة

أســـعى لأحرزهـــا بجـــد مقبـــل

لما صديت لها ركبت على الصـــبا

حتى وصلت إلى الغمـــام المســـبل

فخدمتـــه بمـــدائحي وقرائحـــي

وصـــحبته بتوســـلي وتوصـــلي

ملـــك الملـــوك حقيقـــة وهـــم بـــه

مثل المجاز مـــن الكـــلام المهمـــل

وسواه إمـــا عـــاجز لـــم يســـتطع

نهضا وإمـــا نـــاقص لـــم يكمـــل

خضعوا له طوعا وكرها ، طـــائع

بتـــــذلل أو كـــــاره بتـــــذلل

وســـع الأنـــام بفضـــله وبفصـــله

حتـــى دعـــوه بأفضـــل ومفضـــل

كـــم ســـنة أحيـــا لأن فعالـــه

تجري على سنن النبـــي المرســـل

وقال في النقد :

دعنـــي أقـــول ودعـــه ينتقـــد

قـــولي الـــزلال ونقـــده البـــرد

ويقول : ســحر مــا أقــول لكــم

قلـــت صـــدقت لأنـــه عقـــد

مـــاذا يضـــير الأســـد إن زارت

أن ظـــل ينقـــد زارهـــا النقـــد

أو مـــا علـــى قـــولي وحملتـــه

زبـــد بنقـــد كلـــه زبـــد

قـــولي يصـــوغ الفكـــر عســـجده

والنقـــد فيـــه يصـــوغه المَعـــد

لا عـــاد وجهـــي ملـــؤه ضـــحك

نقـــد بعـــين ملؤهـــا رمـــد

ابن نباتة المصري

هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر، جمال الدين.

شاعر، وكاتب، وعالم بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة، وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نباتة. سكن الشام سنة ٧١٥هـ (تقريبا) وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة المسيحيين لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود.

ورجع إلى القاهرة (سنة ٧٦١) فكان بها صاحب سر السلطان.

له ديوان شعر وكتاب (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) وغيرها.

ومن شعره :

خلقت على مرادي واقتراحي

خلقت على مـرادي واقتراحـي ... فذكرك حضرتي في وقت راحي

ولى من طـرة لـك أو جبـين ... شجون في المساء وفي الصـباح

بروحي أنـت ذو جفـن كليـل ... وعينـي منـه داميـة الجـراح

غزالـي جفنـه وشـكا فتـورا ... فوا حرباه من شـاكي السـلاح

وتيـاه سـمحت لـه بـدمع ... يرى أن السـماح مـن الربـاح

ومالي لا أسـيل اجـاج دمعـي ... علـى عـذب بمبسـمه قـراح

يحمر أوجـه الكاسـات هـزوا ... ويضحك في الرياض على الأقاحي

أقمت بـه علـى نيـران بـرح ... فما لي كابن قـيس مـن بـراح

سقى صوب الحيا زمنـاً أقامـت ... عليـه صـبابتي ومحـاه مـاح

و كاسـات أشـد يـدي عليهـا ... مخافة أن تطيـر مـن الجمـاح

صفت فصفا الزمـان وبشـرتنا ... فحلـق درع بشـراها النـواحي

وقد كـــال النـــديم بهـــا نضـــارا ... علمنـــا أنهـــا داعـــي الســـماح

بكف مزركش الأصداغ تهـوى ... لقبلتهـــا وجـــوه للمـــلاح

عشـــوت لكأســـه لا للثريـــا ... ونسر للشـــهب خفـــاق الجنـــاح

كأني قـــد ســـلبت الـــديك عينـــاً ... فثار من المنـــام إلـــى الصـــباح

كأني قد حملت علـــى همـــومي ... بهـــا رايـــات لهـــوٍ وانشـــراح

كأني اذ صـــحا بالمحـــل أثقـــي ... رأيت لقـــا الليـــالي غيـــر مـــاح

إذا أبصرت جـــدا مـــن زمـــان ... فخالطـــه بشـــيء مـــن مـــزاح

و ليل ظلت فيه لفـــرط عزمـــي ... كأن الشهب من شرر اقتـــداحي

وموحشة المفـــاوز فـــي رباهـــا ... طغت إبلي وسلن مـــع البطـــاح

أرشـــح ذا الخمائـــل مشـــعلاً ... بها وأحيـــد عـــن ذات الوشـــاح

لعـــز أو لـــوفر أجتنيـــه ... على وفق احتيـــاجي واجتيـــاحي

علي بها السرى وعلـــى أيـــادي ... بنـــي الفـــاروق إدراك النجـــاح

بنـــي فضـــل الإلـــه اذا أجيلـــت ... غـــداة المحـــل أيســـار القـــداح

نجـــوم العلـــم أنـــواء العطايـــا جيـــاد الســـبق آســـاد الكفـــاح

لآلي السلك فـــي نســـب نظـــيم ودعنـــا مـــن أنابيـــب الرمـــاح

لأحمدهم منا هي الحمـــد عـــنهم فيـــا كـــرم اختتـــام وافتتـــاح

أخو الإغضاء عن تقصير مـــثن وفي طلب العلاء أخـــو الطمـــاح

و ذو القلم الذي إن قـــال أغنـــي عن استســـماع قعقعـــة الســـلاح

سويد القلب قلـــب العـــيش منـــه وإلا فهـــو قادمـــة الجنـــاح

فطوراً فـــائض العـــذب المهنـــى وطوراً فـــائض الســـم الـــذباح

أبا العباس قـــد حفظـــت ثغـــور برأيك فهـــي باســـمة النـــواحي

تســـوك بالقنـــا ممـــا حبتهـــا بزانك أو تمضـــمض بالصـــفاح

وسامي الملك منك شهاب عـــزم كفـــى المـــرّاد قبـــل الالتمـــاح

و ذا همـــم اذا ضـــلت ســـيوف تنادي الجيش حيّ على الفـــلاح

حللـــت بـــواديي مصـــر وشـــامٍ محلّ النيـــل والســـحب الـــدلاح

يمـــين مكـــارم أو صـــدر ســـر ملـــيّ بالمصـــون وبالمبـــاح

وأغرقت ابن بحـر فـي بيـان أطاف بـه علـى لجـج فسـاح

بيان جوهري الوصـف تـروي عوالي الحرب منه عن الصحاح

وأن النـرجس الحاكيـك لفظـاً لينبي عن عيـون ربـاً وقـاح

وأن لراحتيـك علـى الغـوادي فخاراً مـا عليـه مـن جنـاح

فؤاد البرق منـه فـي التهـاب ووجه الدجن منه فـي اغتضـاح

أمالـك رتبـة العليـا بلفـظٍ متـين قـوّى وأخـلاق سـجاح

وباعث فكرتـي سـيما جبـين حمدت به السرى عند الصـباح

عطفت علي في زمـن حـرون وجـدت بـرغم أيـام شـحاح

وقربنـي جنابـك بعـد بعـدٍ ونهنه حاسـدي بعـد الجمـاح

ونطقني نـدك وكنـت حجـلاً فصرت اليوم أنطق من وشـاح

إليك حسانَ شـعر لـم تعرهـا ولا أحوجتهـا حـظ القبـاح

من اللاتي زكت نسـباً ورقـت عليك شـمائل الخـود الـرداح

ومن قصيدة له في رثاء الملك المؤيد وهي من أشهر قصائده يقول :

في رثاء المؤيد

ما للندي لايلبـــى صـــوت داعيـــه؟

أظن أن ابـــن شـــاد قـــام ناعيـــه

ما للرجاء قـــد إ شـــتدت مذاهبـــه؟

ماللزمان قـــد إ ســـودّت نواحيـــه؟

مالي أرى الملك قدفضّـــت مواقفـــه؟

مالي أرى الوفد قد فاضت مآقيـــه؟

نعى المؤيـــد ناعيـــه فيـــا أســـفي

للغيث كيف غـــدت عنـــا غواديـــه

واروعتـــا لصـــباح عنـــد رؤيتـــه

أظـــن أن صـــباح الحشـــر ثانيـــه

واحسرتاه لنظمـــي فـــي مدائحـــه

كيف استحان لنظمي فـــي مراثيـــه

أبكيه بالدّرر من جفني ومن كِلَمـــي

والبحر أحسن مـــا بالـــدّر أبكيـــه

أروي بدمعي ثرى ملك لـــه شـــيم

قد كان يذكرها الصـــادي فترويـــه

أنيـــل مـــاء جفـــوني بعـــده أســـفا

لماء وجهي الذي قد كـــان يحميـــه

جار من الـــدمع لا ينفّـــك يطلقـــه

من كان يطلـــق بالأنعـــام جاريـــه

ومهجـــة كلّمـــا فاهـــت بلوعتهـــا

قالت رزية مولاهـــا لهـــا : إيـــه

ليـــت المؤيـــد لازالـــت عوارفـــه

فزاد قلـــب المعنـــيّ فـــي تلظيـــه

ليت الحمام حبـــا الأيـــام موهبـــة

فكان يفني بنـــي الـــدنيا و يبقيـــه

ليت الأصـــاغر تُفـــدي الأكبـــرون

بها فكانت الشهب بالآفـــاق تفديـــه

أعزز علي بـــأن ألقـــى عوارفـــه

ملء الزمـــان و إنـــي لا ألاقيـــه

أعزز علـــي بـــان تبلـــى شـــمائله

تحت التراب ومـــا تبلـــى أياديـــه

أعزز علي بأن ترعي النجوم على

سرح من الملك قد خـــلاه راعيـــه

هلا بغيـــر عمـــاد الـــدين حادثـــة

ألمت رداه وأوهـــت مـــن مبانيـــه

لا أعقب الـــزمن المـــودي بســـيّده

يكفيه ما قـــد تـــولّي عنـــه يكفيـــه

لهفي وهـــل نـــافعي لهفـــي علـــي

ملك با ت الغمام علي الآفاق يبكيه

لهفي وهـــل نـــافعي لهفـــي علـــى

ملك كسي الزمان حداداً من دياجيه

لهفي علي المُلك قد أهـــوت ســـناجقه

إلي التراب وقد حطـــت غواشـــيه

لهفي على الخيل قد وفّت صـــراهلها

حق العزا فهو يشـــجيها وتشـــجيه

لهفي على ذلك السلطان حين قضـــى

من الحمـــام عليـــه حكـــم قافيـــه

لهفي عليـــه لجـــود كـــان يعجبـــه

فيه المـــلام كـــأن اللـــومَ يغريـــه

كان المؤيد في يومي نـــديٌ ورديٌ

غيثًا لراجيـــه أو غوثـــا للاجيـــه

لا تخش بيتك أن يلوي الزمـــان بـــه

فإن للبيـــت ربّـــا ســـوف يحميـــه

سهرت عليك لواحظ الرقباء

سهرت عليـك لـواحظُ الرقبـاء ... سهرا ألـذّ لهـا مـن الاغفـاء

فمتى أحـاول غفلـةً ومـرادهم ... بيـعُ الرقـاد بلـذة اسـتحلاء

ومتى يقصر عـاذلي ورجـاؤه ... في مرّ ذكرك دائمـاً ورجـائي

قسما بسـورة عارضـيك فانهـا ... كالنمل عنـد بصـائر الشـعراء

وجفونك اللاتي تبـرحُ بـالورى ... وتقول لا حرجٌ علـى الضـعفاء

اني ليعجبنـي بلفـظ عـواذلي ... منـي ومنـك تجمـع الأسـماء

وتلذ لـي البرحـاء أعلـم أنـه ... يرضيكِ ما ألقى مـن البرحـاء

ويشوقني مغنى الوصـال فكلمـا ... ذكـر العقيـق بكيتـهُ بـدمائي

أيام لا أهوى لقـاك بقـدر مـا ... تهوي لإقـراط الـوداد لقـائي

متمازجان من التعـانق والوفـا ... في الحبّ مزجَ الماء بالصـهباء

لو رامت الأيامُ سـلوةَ بعضـنا ... لم تدرمن فينـا أخـو الاهـواء

وصـلٌ سـهرتُ زمانـه لتـنعم ... وسـهرتُ بعـد زمانـه بشـقاء

يا جفن لست أراك تعرف مـاالكرى ... فعلام تشـكو منـه مـرّ جفـاء

كانـــت ليـــاليَ لـــذةٍ فتقلصـــت ... بيـــد الفـــراق تقلـــص الأفيـــاء

ومنازل بالسـفح غُيـر رسـمها ... بمـــدامعِ العشـــاق والأنـــواء

لم يبقَ لي غيرُ انتشاق نسـيمها ... يـــاطولَ خيبـــةِ قـــانعٍ بهـــواء

كمؤمل يبغـــي براحـــةِ واهـــبٍ ... كرماً ويتـــركُ أكـــرمَ للـــوزراء

الصاحب الشرف الرفيع على السها ... قـــدراً بـــرغمِ الحاســـدِ العـــواء

ندبٌ بدا كالشمس في أفق العـــلا ... فتفرقـــتْ أهـــلُ العـــلا كهبـــاء

عالي المكانة حيث حـــلَّ مقامـــه ... كالنجمِ حيث بـــدا رفيـــعَ ســـناء

ما السحبُ خافقةً ذوائـــبُ برقهـــا ... بأبرّ من جـــدواه فـــي الـــلأواه

لا والذي أعـــلا وأعلـــن مجـــدهُ ... حتى تجـــاوز هامـــةَ الجـــوزاء

لا عيـــبَ فـــي نعمـــاهُ إلا أنهـــا ... تسلي عـــن الأوطـــان والقربـــاء

مغرى على رغم العواذل والعدى ... بشـــتاتِ أمـــوالٍ وجمـــعِ ثنـــاء

لا تســـتقر يـــداه فـــي أموالـــه ... فكأنما هـــو ســـابحٌ فـــي مـــاء

جمعتْ شمائله المديحَ كمثل مـــا ... جمعتْ أبي جادٍ حروفَ هجـــاء

وتفردت كرماً وان قـال العـدى ... انّ الغمـامَ لهـا مـن النظـراء

وتقدمت في كل محفـل سـؤددٍ ... تقـديمَ بسـم اللهِ فـي الأسـماء

أكـرمْ بهـنّ شـمائلا معروفـة ... يـوم العلـى بتحمـلِ الأعبـاء

يلوي بقـول اللائمـينَ نوالهـا ... كالسـيل يلـوي جريـةُ بغثـاء

ومراتباً غـاظ السـماء علوهـا ... فتلقبـت للغـيظ بالجربـاء

ومناقباً تمشـي المـدائح خلفهـا ... لوفور سؤددها علـى اسـتحياء

وفضائلاً كالروض غنى ذكرهـا ... يا حبـذا مـن روضـةٍ غنـاء

ويراعةً تسـطو فيقـرع سـنها ... خجلاً قـوامَ الصـعدة السـمراء

هرقت دم المحل المروع والعدى ... حتى بدت فـي أهبـةٍ حمـراء

عجباً لإبقـاء المهـارق تحتهـا ... ونوالهـا كالديمـة الوطفـاء

كم عمرت بحسابها مـن دولـة ... وبلا حساب كم سـخت بعطـاء

ولكم جلا تدبيرها عـن مـوطن ... دهماءَ واسـأل سـاحةَ الشـهباء

لولاك في حلبِ لأحدرِ ضـرعها ... وقرى ضـيوفَ جنابهـا بعنـاء

يا من به تكفى الخطوبُ وترتمي ... بكـــر الثنـــاء لســـيدِ الأكفـــاء

أنت الذي أحيا القريض وطالمـــا ... أمسى رهين عنـــاً طريـــدَ فنـــاء

في معشر منعوا اجابـــةَ ســـائل ... ولقد يجيبُ الصـــخرُ بالأصـــداء

أسفي على الشعراء أنهمو علـــى ... حـــال تثيـــر شـــماتة الأعـــداء

خاضوا بحور الشـــعر إلا أنهـــا ... مما تريق وجـــوههم مـــن مـــاء

حتى اذا لجـــأوا اليـــكَ كفيـــتهم ... شـــجناً وقلـــتَ أذلـــةُ العليـــاء

ظنوا السؤال خديعة وأنـــا الـــذي ... خدعتُ يـــداه بصـــائر العلمـــاء

أعطوا أجورهم وأعطيتَ اللهـــى ... شـــتانَ بـــين فنـــاً وبـــينَ بقـــاء

شكراً لفضلكَ فهو ناعشُ عيشتي ... وندالك فهو مجيبُ صوتَ نـــدائي

من بعد ما ولع الزمان بمهجتـــي ... فردعتـــه وحبـــوتني حوبـــائي

وبلغتَ ما بلغ الســـحابُ براحـــةٍ ... عرفتْ أصـــابعُ بحرهـــا بوفـــاء

فانعم بما شادت يداك ودمْ علـــى ... مـــرّ الزمـــان ممـــدحَ الآلاء

واحكِ الكواكب في البقاء كمثلِ ما ... حاكيتهـــا فـــي بهجـــةٍ وعـــلاء

أسامة بن منقذ

مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ ، ينتهي نسبه إلى قضاعة فارس جواد وشاعر مشهود له بالقوة والمقدرة وعلو الشأن .

حياته :

ولد أسامة بن منقذ في شيزرلدني منقذ أمراء شيزر شمال حماة .

كان عمه سلطان أميراً على بلد شيزر وبعد وفاة والده التحق أسامة بجيش نور الدين زنكي، وعاش في بلاط النوريين بدمشق ، ثم في بلاط الفاطميين بالقاهرة ، حيث اشترك في الحملات على الصليبيين في فلسطين. عاد إلى دمشق.

عُني بالشعر والقتال في أول حياته ونظم ديواناً في الفخر والغزل والوصف.

بعثه صلاح الدين الأيوبي كسفير إلى بلاد المغرب لطلب العون من الخليفة أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور.

مؤلفاته :

قضى أسامة آخر حياته في حصن كيفا منفياً فأقبل على التصنيف وصنف كتبا عديدة بلغت ١٣ كتابا وهي:

- كتاب البديع في البديع: كتاب نقد للشعر.
- تاريخ القلاع والحصون.
- أزهار الأنهار.
- التاريخ البلدي.
- نصيحة الرعاة.

- التجائر المريحة والمساعي المنجحَة.
- كتاب العصا.
- أخبار النساء.
- ديوان أسامة: ديوان قصائده.
- كتاب النوم والأحلام.
- كتاب المنازل والأديار.
- كتاب لباب الآداب.
- كتاب الاعتبار.

عاش عمرا مديدا حافلا بالمكارم والمآثر. وشهد الحملات الصليبية.

من شعره كتب إلى الملك الصالح :

بأبي شخصكَ الذي لا يغيب

بَأبِي شَخصُـكَ الـذي لا يَغيـبْ ... عن عياني وهو البعيد القريـبُ

يا مُقيماً في الصّدرِ، قد خفتُ أن يُز ... ـيـلكَ للقلـب حُرقـةٌ ووجيـبْ

وأرى الدمعَ ليس يُطفىءُ حرَّ الو ... جد، إن جـادَ غيثُـهُ المسـكُوبُ

كلّ يومٍ لنار شـوقي مـا بيـ ... ـن ضلوعي بماء جفني لَهيـبُ

وكذا الصبّ يحسن الجور في الحـ ... ـبِّ لديـه، ويَعـذُبُ التّعـذيبْ

لا يهاب الأسود في حومة الحـر ... ب ويقتـاده الغـزال الربيـبُ

ويجازي عن النّفار مـن الأحبـا ... بِ بـالقربِ، إنّ ذا لعجيـبُ

يا مليحَ القوام عطفاً فقد يعطـ ... ـطفُ من لِينه القضيبُ الرطيبْ

لكَ قلبٌ أقسى علينا من الصّخر، ... ومـا هكـذا تكُـونُ القُلـوبْ

وبحكـم الغـدوّ تحكُـم ألحـا ... ظُكَ في قلبنـا، وأنـت الحبيـبُ

أنت عندي مثل ابن سبرايَ منـه ... الداءُ يُردي النفوس وهو الطبيبُ

ما لنُعمى يُسقَى به وردُ خدَّيـــ ـــك ومرعاهُ فوق خدّي جـديبُ

ولأهل الصـفاء مـا مـنهم الآن ـــلُ إذا دعـــوتُ يُجِيـــبُ

ما ظَنَنا نُفوسَهم بانصداع الشَّـــ الشّمل يوماً ولا الفـراق تطيـبُ

وقال يمدح الأمير معين الدين بعد أن هزم الفرنج :

كل يوم فتح مبين ونصر

كل يــوم فــتح مبــين ونصــر ... واعتلاء على الأعــادي وقهــر

قد أتاك الزمان بالعذر والإعـــ ... ـتاب مما جنــاه إذ هــو غــر

صدَق النَّعتُ فيك، أنتَ معينُ الـــ ... ـدين إن النعوت فــأل وزجــر

أنت سيفُ الإســلام حقــاً، فــلا ... ـل غراريك أيها السيف دهــر

بك زادَ الإسلامُ يا سيفَه المِخـــ ... ـذم عــزاً وذل شــرك وكفــر

ثق بإدراك ما تؤمِّــلُ؛ إنْ الـــ ... ـلّهَ يجزِي العبادَ عمّــا أســرُّوا

لم تزل تضــمر الجهــاد مســراً ... ثم أعلنت حــين أمكــن جهــر

كل ذخر الملوك يفنــى وذخــرا ... ك هما الباقيــان: أجــر وشــكر

للنَّدى مالُك المبــاحُ، ومــا مــا ... لك إلا جــرد وبــيض وســمر

عم أهــل الشــآم عــدلك لكنـــ ... ـا بعدنا وغايــة البعــد مصــر

فَحُرْمنا من بينهم رَيْعَ مــا كنّــا ... زَرعنا، وقــال زيــدٌ، وعمــرُو

أمنَ العدلِ أنّنا في بـــلادِ الكفـــــ ـــرِ شَفعٌ، وأنتَ في الغزوِ وِتْـرُ

كان حظي من ذاك ذكراً شـــنيعا ثم ما لي فـــيمن يجاهـــد ذكـــر

لا تَنَاسَى مَن كانَ ظلّكَ في العُســـ ـــر وضيق الزمان إذ جاء يســـر

إن حسن الوفاء من ملـــك مثـــــ ـــلك فضل يرويه بدو وحضـــر

فابق واسلم وزد على رغم أعـــدا ئك جدا ما أعقـــب الليـــل فجـــر

لا أغبُّ الزَّمانُ قصـــدَ أعاديـــــ ـــك ولا شد من تهيضت جبـــر

ومن جميل شعرهَ :

ذكر الوفاء خيالك المنتاب

ذكَـر الوفَـاءَ خيالُـك المنتـابُ ... فـألمَّ وهـو بودّنـا مرتـابُ

نفسي فداؤكَ مـن خيـالٍ زائـرٍ ... متعتّـبٍ عنـدي لـه الإعتـابُ

مُستَشْرفٍ كالبدر خلـفَ حِـجابِه ... أوَفي الكَرَى أيضاً عليكَ حجابُ!

أنكرتُ هجري، والزّمانُ بجـوره ... يقضي بـأن يتهـاجر الأحبـابُ

حظر الوفاءُ عليّ هجركَ طائعـاً ... وإذا اقتُسرتُ، فما علـيّ عتـابُ

ودّي كعهـدكَ والـديارُ قريبـة ... من قبـل أن تتقطّـع الأسـبابُ

تَبْتَّ، فلا طولُ الزّيـارةِ نـاقصٌ ... منه، ولـيس يزيـدُه الإغبـابُ

مَن زيَّن الأقحوانَ الرطبَ بالشَّنَبِ ؟

مَن زيَّن الأقحوانَ الرطبَ بالشَّنَبِ ... ونَّظم الدُرَّ بين الرّاحِ والحَبَـبِ؟

ومن ثُرى غَـرسَ الأغصـانَ حاملـة ... شمساً ترنّت دياجي الشعر في كثـبِ؟

وقـل لشـادنِ آرام الكنـاس ألا ... فانظُر إلى مُلَحٍ في شادن العَرب

نارُ الحيـاء بخدَّيـه بـلا لهـبٍ ... قد مازجت ماءَ حسنٍ غيرَ منسـكبِ

سبحانَ باري سهامٍ من لواحظـه ... من الملاحةِ لا من أسهمِ الغـربِ

إذا رَمينَ فَما دُون القلـوب، ولِن ... حُرسن من جُنَنٍ تحمي ولا حجبِ

كانت، وليلُ الصِبّا تُخفى نَياجِرُه ... عنّي سبيل النُهى والرشد من أربـي

أعصى النصيحة فيها غيرَ مُعتَذرٍ ... وأركبُ الغيَّ عمداً غيـر متّئـبِ

وأحملُ الضغنَ في وجدي بها وأرى ... حملَ الهَوى من وقارِ الحلم أجملَ بـي

حتى إذا نادتِ السبعونَ حسبكَ منْ ... تَعليل قلبـكَ بالآمـال والكَـذِبِ

أيرجع لي شرخ الشباب وعصره؟

أيرجعُ لي شرخُ الشباب وعصـــره؟ وكيف رجوع الليل قد لاح فجره؟

رداء قشيب حـــال حالـــك لونـــه وأنهجه طـــي الزمـــان ونشـــره

وكنتُ به كلَّ الضنَّينِ فبزَّه المش مشيب فـــويح الشـــيب لادر دره

فيا سَعدُ، كَمْ أحسنتَ بي قبلَ هذه فدونك برا خالصاً لـــك شـــكره

تَراء معي داراً بأكثِبـــة الحِمـــى فقد ران من دمعي على العين سترِه

فإن تكُ أطلالي فقف بي بِرَبْعهـــا لأبرد قلبـــا قـــد تـــوهج جمـــره

وأفرغ فيها قَطْـــر دَمـــعٍ يُغيـــرهُ إذا جَادَها من صيِّبِ الغيثِ قَطْرُه

وعاهدتُ قلبي أنَّـــه لَـــي مُنجـــدٌ متى خنتم والآن قد بـــان غـــدره

وأبدَى الهوى منه تجَهُّـــمَ خَـــاذلٍ فمن خَانَني من بَعده قَام عُـــذْرُهُ

وقد كان سُكرُ الحُبِّ يهفُـــو بلُبِّـــه وما خلته يبقى مع الغدر ســـكره

ولم أُتْبِعْ ضـــنا بكـــم سَـــقَطَاتِكُم لأسبُرَكُم، والكَلْمُ يُدميـــه سَـــبْرُه

ولكن أرَانِيهَـــا اشـــتهارُكُمُ بهـــا وهل يختفي في حندس الليل بدره

البوصيري

محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري

شاعر صنهاجي اشتهر بمدائحه النبوية.

أشهر أعماله البردية المسماة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية".

حياته :

ولد البوصيري في مدينة دلس، ولاية بومرداس، الجزائر، في ٦٠٨هـ لأسرة ترجع جذورها إلى قبيلة صنهاجة إحدى أكبر القبائل الأمازيغية، المنتشرة في شمال إفريقيا، كما أنه أصوله تعود لمنطقة دولة الحماديين أحد فروع قبيلة صنهاجة ثم انتقل مع أبيه إلى مصر القاهرة حيث واصل تلقى علوم العربية والأدب. تلقى البوصيري العلم منذ نعومة أظفاره؛ فحفظ القرآن في طفولته، وتتلمذ على عدد من أعلام عصره، كما تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء المعروفين.

عُني البوصيري بقراءة السيرة النبوية، ومعرفة دقائق أخبار رسول الإسلام وجامع سيرته، وأفرغ طاقته وأوقف شعره وفنه على مدح الرسول، وكان من شار مدائحه النبوية (بائياته الثلاث)

وله -أيضا- عدد آخر من المدائح النبوية منها قصيدته "الحائية"، التي يقول فيها مناجيا الله:

بردة البوصيري:

تُعد قصيدته الشهيرة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"، والمعروفة باسم "البردة" أهم أعماله. شرحها الشيخ الأمهري في كتابه "مختصر الكواكب الدرية في مدح خير البرية". وهي قصيدة طويلة تقع في ١٦٠ بيتا.

وقد ظلت تلك القصيدة مصدر إلهام للشعراء على مر العصور. يحذون حذوها وينسجون على منوالها، وينهجون نهجها. ومن أبرز معارضات الشعراء عليها قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي "نهج البردة"، التي تقع في ١٩٠ بيتا

أعمال البوصيري نثرا وشعرا:

ترك البوصيري عددًا كبيرًا من القصائد والأشعار ضمّها ديوانه الشعري الذي حققه "محمد سيد كيلاني".

وقصيدته الشهيرة البردة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" .

والقصيدة "المضرية في مدح خير البرية"

وقصيدة "ذخر المعاد"

ولامية في الرد على اليهود والنصارى بعنوان: "المخرج والمردود على النصارى واليهود"، وقد نشرها الشيخ "أحمد فهمي محمد" بالقاهرة .

وله أيضا "تهذيب الألفاظ العامية"، وقد طبع كذلك بالقاهرة.

وفاته :

توفي البوصيري بالإسكندرية عام ١٢٩٦م – ٦٩٦هـ.

قصيدة البردة :

قصيدة البردة أو قصيدة البُرأة أو الكواكب الدريّة في مدح خير البرية، أحد أشهر القصائد في مدح النبي محمد . كتبها محمد بن سعيد البوصيري في القرن السابع الهجري الموافق القرن الحادي عشر الميلادي.

وقد أجمع معظم الباحثين على أن هذه القصيدة من أفضل وأعجب قصائد المديح النبوي إن لم تكن أفضلها، حتى قيل: إنها أشهر قصيدة مدح في الشعر العربي بين العامة والخاصة.

وقد انتشرت هذه القصيدة انتشارًا واسعًا في البلاد الإسلامية، يقرأها بعض المسلمين في معظم بلاد الإسلام كل ليلة جمعة. وأقاموا لها مجالس عرفت ب مجالس البردة الشريفة، أو مجالس الصلاة على النبي.

يقول الدكتور زكي مبارك:

« البوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين، ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق. فعن البردة تلّقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب، وعن البردة عرفوا أبوابًا من السيرة النبوية، وعن البردة تلّقوا أبلغ درس في كرم الشمائل والخلال. وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون الحرص على تلاوتها وحفظها من وسائل التقرب إلى الله والرسول ».

سبب نظم هذه القصيدة

يقول البوصيري عن سبب نظمه لهذه القصيدة:

(كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، منها ما اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن داهمني الفالج (الشلل النصفي) فأبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه فعملتها واستشفعت بها إلى الله في أن يعافيني، وكررت إنشادها، ودعوت، وتوسلت، ونمت فرأيت النبي فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدتُ فيّ نهضة، فقمت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أي قصائدي؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها وقال: والله إني سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة، فأعطيته إياها. وذكر الفقير ذلك وشاعت الرؤيا.

يقول في البردة :

محمد سيد الكونين والثقلي ... ن والفريقين من عرب ومن عجم

نبينا الآمرُ الناهي فلا أحدٌ ... أبر في قولٍ لا منه ولا نعم

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ... لكل هولٍ من الأهوال مقتحم

دعا إلى الله فالمستمسكون به ... مستمسكون بحبلٍ غير منفصم

فاق النبيين في خلق وفي خُلُق ... ولم يدانوه في علمٍ ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

وواقفون لديه عند حدهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيباً بارئُ النسم

منزهٌ عن شريكٍ في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ماشئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفم

أجزاء القصيدة :

تقع قصيدة البردة في عشرة أجزاء هي بالترتيب:

الجزء الأول : في الغزل وشكوى الغرام.

الجزء الثاني : في التحذير من هوى النفس.

الجزء الثالث : في مدح سيد المرسلين .

الجزء الرابع : في مولده .

الجزء الخامس: في معجزاته .

الجزء السادس : في شرف القرآن ومدحه.

الجزء السابع : في إسرائه ومعراجه .

الجزء الثامن : في جهاد النبي .

الجزء التاسع : في التوسل بالنبي .

الجزء العاشر : في المناجاة وعرض الحاجات.

معارضة البردة:

ألهمت البردة الكثيرين من الشعراء والأدباء والعوام على مر العصور، وأشهر من نهج على نهج البوصيري هو أمير الشعراء أحمد شوقي، وسماها نهج البردة، يقول شوقي في مطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم

لما رنا حدثتني النفس قائلة: يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي

جحدتها وكتمت السهم في كبدي جرح الأحبة عندي غير ذي ألم

رزقت اسمح ما في الناس من خلق إذا رزقت التماس العذر في الشيم

يا لائمي في هواه والهوى قدر لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

لقد أنلتك أذنا غير واعية ورب منصت والقلب في صمم

يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبدا أسهرت مضناك في حفظ الهوى فنم

أفديك إلفا ولا آلو الخيال فدا أغراك بالبخل من أغراه بالكرم

سرى فصادف جرحا داميا فأسا ورب فضل على العشاق للحلم

من الموائس بانا بالربى وقنا للاعبات بروحي السافحات دمي

السافرات كأمثال البدور ضحا يغرن شمس الضحى بالحلي والعصم

يا بنت ذا اللبد المحمي جانبه ألقاك في الغاب أم ألقاك في الأطم؟

وأبيات البردة كثيرة سنوردها كاملة إن شاء الله تعالى في صفحات هذا لكتاب ، وذلك لما فيها من خير الكلم وبديع التصوير . ورائع الأسلوب ، وجميل اللفظ ، وحلو المعنى ورائع الوصف لصفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، مما

أتاح لها الخلود وجعلها تعلق بالأذهان عبر الزمان فتزداد جمالا ، وتتناقلها وتشدو بها الأفواه والشفاه جيلا بعد جيل .

ومن جميل شعر البوصيري قصيدة (كيف ترقى رقيك الأنبياء؟) التي صاغ أبياتها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي تسير في نفس إطار البردة وتنهج طريقها في المديح والوصف ، يقول فيها :

كَيْفَ تَرْقَى رُقَيَّكَ الأَنْبِيَاءُ ... يَاسَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ؟

لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلاَكَ وَقَدْحَا ... لَ سَنىً مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ

إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّا ... سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَاءُ

أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْ ... دُرُ إِلاَّ عَنْ ضَوْئِكَ الأَضْوَاءُ

لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ ... وَمِنْهَا لآدَمَ الأَسْمَاءُ

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُخْتَا ... رُ لَكَ الأُمَّهَاتُ وَالآبَاءُ

مَامَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسْلِ إِلاَّ ... بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الأَنْبِيَاءُ

تَتَبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو ... بِكَ عَلْيَاءُ بَعْدَهَا عَلْيَاءُ

وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ ... مِنْ كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كُرَمَاءُ

نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلاَ بِحُلاَهُ ... قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوْزَاءُ

حَبَّـذَا عِقْـدُ سُـؤْدَدٍ وَفَخَـارٍ أَنْـتَ فِيـهِ الْيَتِيمَـةُ الْعَصْـمَاءُ

وَمُحَيّاً كَالشَّمْسِ مِنْـكَ مُضِـيءٌ أَسْـفَرَتْ عَنْـهُ لَيْلَـةٌ غَـرَّاءُ

لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الـذِي كَـانَ لِلـدِّين سُـرُورٌ بِيَوْمِـهِ وَازْدِهَـاءُ

وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِـفِ أَنْ قَـدْ وُلِدَ الْمُصْـطَفَى وَحَـقَّ الْهَنَـاءُ

وَتَدَاعَى إِيـوَانُ كِسْـرَى وَلَـولاَ آيَةٌ مِنْـكَ مَـا تَـدَاعَى الْبِنَـاءُ

وَغَـدَا كُـلُّ بَيْـتِ نَـارٍ وَفِيـهِ كُرْبَـةٌ مِـنْ خُمُودِهَـا وَبَـلاَءُ

وَعُيُونٌ لِلْفُرْسِ غَارَتْ فَهَـلْ كَـا نَ لِنِيـرَانِهِمْ بِهَـا إِطْفَـاءُ

مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِي طَـالِعِ الْكُفْـرِ وَبَـالٌ عَلَـيْهِمُ وَوَبَـاءُ

فَهَنِيئـاً بِـهِ لآمِنَـةَ الْفَضْـلِ الَّـذِي شُـرِّفَتْ بِـهِ حَـوَّاءُ

مَنْ لِحَوَّاءَ أَنَّهَـا حَمَلَـتْ أَحْمَـد أَوْ أَنَّهَـا بِـهِ نُفَسَـاءُ

يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْبٍ ... مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ النِّسَاءْ

وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا ... حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءْ

شَمْلَتْهُ الأَمْلاَكُ إِذْ وَضَعَتْهُ ... وَشَفَتْنَا بِقَوْلِهَا الشَّفَاءْ

رَافِعاً رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّفْعِ ... إِلَى كُلِّ سُؤْدُدٍ إِيمَاءْ

رَامِقاً طَرْفُهُ السَّمَاءَ وَمَرْمَى ... عَيْنِ مَنْ شَأْنُهُ الْعُلُوُّ الْعَلاَءْ

وَتَدَلَّتْ زُهْرُ النُّجُومِ إِلَيْهِ فَ ... أَضَاءَتْ بِضَوْئِهَا الأَرْجَاءْ

وَتَرَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ بِالرُّو ... مِ يَرَاهَا مَنْ دَارُهُ الْبَطْحَاءْ

وَبَدَتْ فِي رَضَاعِهِ مُعْجِزَاتٌ ... لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعُيُونِ خَفَاءْ

إِذْ أَبَتْهُ لِيُتْمِهِ مُرْضِعَاتٌ ... قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا غَنَاءْ

فَأَتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ ... قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَعَاءْ

أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا ... وَبَنِيهَا أَلْبَانَهُنَّ الشَّاءْ

أَصْبَحَتْ شُوَلاً عِجَافاً وَأَمْسَتْ ... مَا بِهَا شَائِلٌ وَلاَ عَجْفَاءْ

أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحْلٍ ... إِذْ غَدَا لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ

يَا لَهَا مِنَّةً لَقَدْ ضُوعِفَ الأَجْرُ ... عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ

وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُنَاسًا ... لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ

حَبَّذَا أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْرِ ... لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعَفَاءُ

وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ ... وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبُرَحَاءُ

إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلاَئِكَةُ اللهِ ... فَظَنَّتْ بِأَنَّهُمْ قُرَنَاءُ

وَرَأَى وَجْدَهَا بِهِ وَمِنَ الْوَجْدِ ... لَهِيبٌ تَصْلَى بِهِ الأَحْشَاءُ

فَارَقَتْهُ كَرْهًا وَكَانَ لَدَيْهَا ... ثَاوِيًا لاَ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ ... مُضْغَةٌ عِنْدَ غَسْلِهِ سَوْدَاءُ

خَتَمَتْهُ يُمْنَى الأَمِينِ وَقَدْ أُودِعَ ... مَا لَمْ تُذَعْ لَهُ أَنْبَاءُ

صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامُ فَلاَ الْقَبْضُ ... مُلِمٌّ بِهِ وَلاَ الإِفْضَاءُ

أَلِفَ النُّسْكَ وَالْعِبَادَةَ وَالْخَلْوَةَ ... طِفْلاً وَهَكَذَا النُّجَبَاءُ

وَإِذَا حَلَّـــتِ الْهِدَايَـــةُ قَلْبـــاً ... نَشِـــطَتْ لِلْعِبَـــادَةِ الأَعْضَـــاءُ

بَعَثَ اللهُ عِنْـدَ مَبْعَثِـهِ الشُّـهْب ... حِرَاساً وَضَاقَ عَنْهَـا الْفَضَـاءُ

تَطْرُدُ الْجِنَّ عَنْ مَقَاعِـدَ لِلسَّـمْعِ ... كَمَـا تَطْـرُدُ الـذِّئَابَ الرِّعَـاءُ

فَمَحَـتْ آيَـةَ الْكَهَانَـةِ آيَـات ... مِـنَ الْـوَحْيِ مَـالَهُنَّ انْمِحَـاءُ

وَرَأَتْـهُ خَدِيجَـةٌ وَالتُّقَـى وَالـ ... ـهُـدُ فِيـهِ سَـجِيَّةٌ وَالْحَيَـاءُ

وَأَتَاهَـا أَنَّ الْغَمَامَـةَ وَالشَّـرْحَ ... أَظَلَّتْـــهُ مِنْهُمَـــا أَفْيَـــاءُ

وَأَحَادِيـثُ أَنَّ وَعْـدَ رَسُـولِ ... اللهِ بِالْبَعْثِ حَـانَ مِنْـهُ الْوَفَـاءُ

فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوَاجِ وَمَـا أَحْسَـنَ ... مَـا يَبْلُغُ الْمُنَـى الأَذْكِيَـاءُ

وَأَتَـاهُ فِـي بَيْتِهَـا جَبْرَئِيـلُ ... وَلِذِي اللُّبِّ فِي الأُمُـورِ ارْتِيَـاءُ

فَأَمَاطَـتْ عَنْهَـا لِتَخْمِرَ لِلذِّكْـرِ ... أَهُوَ الْـوَحْيُ أَمْ هُـوَ الإِغْمَـاءُ

فَاخْتَفَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسَ جِبْرِيـل ... فَمَاعَـادَ أَوْ أُعِيـدَ الْغِطَـاءُ

فَاسْتَبَانَتْ خَدِيجَـةٌ أَنَّـهُ الْكَنْـزُ ... الَّـذِي حَاوَلَتْـهُ وَالْكِيمْيَـاءُ

ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ يَـدْعُو إِلَـى اللَّـه وَفِـي الْكُفْـرِ نَجْـدةٌ وَإِبَـاءُ

أُمَمـاً أُشْـرِبَتْ قُلُـوبُهُمُ الْكُفْـر فَـدَاءُ الضَّـلاَلِ فِيـهِ عَيَـاءُ

وَرَأَيْنَـا آيَاتِـه فَاهْتَـدَيْنَا وَإِذَا الْحَـقُّ جَـاءَ زَالَ الْمِـرَاءُ

رَبِّ إِنَّ الْهُـدَى هُـدَاكَ وَآيَـا نُـورٌ تَهْـدِي بِهَـا مَـنْ تَشَـاء

هوامش

١. بردة البوصيري.

٢. المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك ص٢١٥.

٣. البلسم المريح من شفاء القلب الجريح، عمر عبد الله كامل، ص٧.

الصفدي

هو : هو صلاح الدين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبَكِي الفاري الصَّفديّ الدِّمشقيّ الشَّافعيّ.

وُلِدَ في صفد لواحدٍ من أمراء المماليك، سنة ٦٩٦ ه . ونشأ في أُسرة ثريَّة نشأةً مرفَّهة، فحفظ القرآن العزيز في صغره، ثُمَّ طلب العلم وبرع في النَّحو واللُّغة والأدب والإنشاء، وكتب الخطّ المنسوب، وقرأ الحديث وكتبه. وعمل بصناعة الرَّسم على القماش، ثُمَّ حُبِّب إليه الأدب فولعَ به، وذكر عن نفسه أنَّ أباه لم يمكِّنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة، فطلب بنفسه وقال الشعر الحسن ثُمَّ أكثر جداً من النَّظم والتَّرسل والتَّواقيع.

أخذ الصَّفدي عن العديد من العُلماء الفضلاء في صفد ودمشق والقاهرة وحلب .

وله مؤلفات كثيرة جدا منها :

« الوافي بالوفيات » و« نكت الهميان »، و« كشف الحال في وصف الخال »، وديوان الفصحاء وترجمان البلغاء و« تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف »، و« لوعة الشَّاكي ودمعة الباكي » و « ألحان السَّواجع » ، والغيث المُسجَم في شرح لاميَّة العجم .

وظائفه التي تقلدها :

تولَّى الصَّفديّ الكثير من الوظائف الإداريّة والماليّة في القاهرة ودمشق وصفد وحلب والرحبة، ومن هذه الوظائف:

- كتابة الدّرج بصفد ثم بالقاهرة، وهي تتمثّل بقراءة المكاتبات على الناس وكتابة الأجوبة، وما يجري مجرى ذلك.
- كتابة الدّست بدمشق، وكُتّاب الدّست هم الذين يجلسون مع كاتب السّرّ بمجلس السُّلطان بدار العدل في المواكب، على ترتيب منازلهم بالقدمة، ويقرؤون القصص( )على السلطان بعد قراءة كاتب السّرّ، وسُمّوا كُتّاب الدّست إضافة إلى دَست السلطان، وهي مرتبة جلوسهم للكتابة بين يديه.
- كتابة السّرّ بحلب والرّحبة، وتتمثّل بقراءة الكتب الواردة على السُّلطان وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السُّلطان عليها، والجُلوس لقراءة القصص بدار العدل والتّوقيع عليها.
- وكالة بيت المال في دمشق، وتتمثّل بالتّحدّث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته من أراضٍ وعقارات والمعاقدة على ذلك.(١)

شخصية الصلاح الصفدي:

كان الصّفدي مُحبّباً إلى الناس، حسن المُعاشرة، جميل المودّة، وكان إليه المُنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشّيم، وكانت له هِمّةٌ عالية في التّحصيل، فما صنّف إلا وسأل علماء عصره عمّا يلزمه فيه من لُغة، أو نحو أو بلاغة أو فقه أو حديث، فكتب بخطّه المئينَ من المجلدات، وصنّف ما يزيد عن خمسين مؤلّفاً.

وفاته :

في سنة (٧٦٤ هـ) انتشر الطاعون في البلاد المصرية، وامتدّ إلى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، مما أصاب البلاد الشامية بهذا الوباء، وكان من ضحيته عدد من العلماء، كان من أبرزهم صلاح الدين الصفدي، حيث توفي بدمشق في ليلة الأحد، عاشر شوّال، سنة أربع وستين وسبع مئة، وعمره ثمانٍ وستون سنة. ودُفن بمقابر الشهداء المعروفة بالصوفية، المُطلة على الميدان الأخضر، والتي أُقيمَ على أنقاضِهَا بناء الجامعة السُّوريّة، والمستشفى الوطني.

من شعره :

الجِدُّ في الجِدِّ والحِرمانُ في الكَسَلِ ... فانصبْ تُصبْ عنْ قريبٍ غايةَ الأملِ

واصبرْ على كلِّ ما يأتي الزَّمانُ بهِ ... صبرَ الحُسامِ بكفِّ الدّارعِ البَطَلِ

وجانبِ الحرصَ والأطماعَ تحظَ بما ... ترجو من العزِّ والتأييدِ في عَجَلِ

ولا تكونَنْ على ما فاتَ ذا حَزَنٍ ... ولا تظلَّ بما أُوتيتَ ذا جَذَلِ

واستشعرِ الحِلمَ في كلِّ الأمورِ ولا ... تُسرع ببادرةٍ يوماً إلى رجلِ

وإنْ بُليتَ بشخصٍ لا خَلاقَ لهُ ... فكُنْ كأنَّكَ لمْ تسمعْ ولمْ يَقُلِ

ولا تُمارِ سفيهاً في مُحاورَةٍ ... ولا حليماً لكيْ تنجو منَ الزَّلَلِ

ولاَ يغرَّنكَ منْ يُبدي بشاشَتَهُ ... إليكَ خِدعاً فإنَّ السُّمَّ في العَسَلِ

وإنْ أردتَ نَجاحاً أو بلوغَ مُنىً ... فاكتُمْ أمورَكَ عن حافٍ ومُنتعلِ

إنَّ الفتى من بماضي الحَزْمِ منتصفٌ ... ومَا تعوّدَ نقصَ القولِ والعملِ

ولاَ يقيمُ بأرضٍ طابَ مسكنُها ... حتى يقدَّ أديمَ السَّهلِ والجَبَلِ

وَلاَ يضيعُ ساعاتِ الزّمانِ فلنْ ... يعودَ مَا فاتَ مِنْ أيامِهِ الأولِ

وَلاَ يُراقِبُ إلاَّ مَنْ يُراقِبُهُ ... وَلاَ يُصاحِبُ إلاَّ كلَّ ذي نُبُلِ

وَلاَ يعدُّ عُيوباً في الوَرَى أبداً ... بل يعتني بالذي فيهِ من الخَلَلِ

وَلاَ يظُنُّ بهمْ سُوءاً وَلاَ حَسَناً ... بل التجاربُ تَهديهِ عَلَى مَهَلِ

وَلاَ يُؤَمِّلُ آمالاً بصبحِ غدٍ ... إلاَّ على وَجَلٍ من وثبةِ الأجلِ

وَلاَ يَصدُّ عن التقوى بصيرتَهُ ... لأنها للمعالي أوضحُ السُّبُلِ

فمنْ تكنْ حُلَلُ التقوى ملابسَهُ ... لمْ يخشَ في دهرهِ يوماً من العَطَلِ

مَنْ لمْ يصنْ عِرضَهُ مما يُدَنِّسُهُ ... عارٍ وإن كانَ مغموراً منَ الخَلَلِ

مَنْ لم تُفِدهُ صُروفُ الدهرِ تجربةً ... فيما يحاولُ فليرعى مع الهَمَلِ

مَنْ سالَمتهُ الليالي فليثِقْ عَجِلاً ... منها بحَرْبٍ عدوٌّ جاءَ بالحِيَلِ

منْ ضيَّعَ الحَزْمَ لم يظفرْ بحاجتِهِ ... ومنْ رمى بسهامِ العُجْبِ لمْ ينَلِ

منْ جادَ سادَ وأحيا العالمونَ لهُ ... بديعَ حمدٍ بمدحِ الفِعلِ مُتَّصِلِ

مَنْ رامَ نيلَ العُلى بالمالِ يجمعُـهُ ... من غيرِ جُودٍ بُلي منْ جهلِهِ وبَلي

منْ لمْ يصُنْ نفسَهُ ساءَتْ خليقتُـهُ ... بكلِّ طَبْـعٍ لئـيمٍ غيـرِ مُنتَقـلِ

منْ جالسَ الغاغَةَ النُوكَى جنَى نَدَماً ... لنفسِهِ ورُمي بالحـادثِ الجَلَـلِ

فخُذْ مقالَ خبيرٍ قد حَوى حِكمـاً ... إذ صغتُها بعدَ طولِ الخُبرِ في عَمَلي

الهوامش

(١) انظر ترجمة الصَّفدي في :

- طبقات الشافعية الكبرى »: ١٠/ ٥-٣٢.
- الدرر الكامنة »: ٢/ ١٧..
- المنهل الصافي »: ٥/ ٢٤١-٢٥٧.
- النجوم الزَّاهِرَة »: ١١/ ١٩-٢١.
- البداية والنهاية »: ١٤/ ٣٠٣.
- شذرات الذهب ٨/ ٣٤٣-٣٤٤ .
- البدر الطالع »: ١/ ٢٤٣ .

سراج الدين الوراق

هو أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن، شاعر مصر في عصره،ولقبه الذي اشتهر به في كتب الأدب (سراج الدين) واشتهر شاعرنا بالوراق نسبة إلى حرفته الوراقة . كما عرف بالمصري نسبة إلى بلده مصر.

ينحدر من عائلة فقيرة ، لذا عانى كثيرا من قسوة الحياة ومرارتها .

تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في صغره ، وبرز حبه للأدب الذي أهله ليعمل في الكتابة في أحد الدواوين . فعين كاتبا لوالي مصر الأمير يوسف بن سباسلار.

من شعره :

واخجلتي وصحائفي سود غدا

واخجلتـــي وَصَـــحائفي سُـــودٌ غَـــداً

وَصَـــحائفُ الأبْـــرارِ فـــي إشْـــراق

وَتَـــوقُّعي لِمـــوبخ لـــي قَائـــلٍ

أكَـــذا تكـــونُ صَـــحائفُ الـــوَرّاق؟

ويقول :

حلم الوزير أحمد أفرط

حِلْـــمُ الـــوَزيرِ أحمـــدِ أفـــرطَ أو

تَهجَّـــم السَّـــيْلُ علـــى وِطَاقـــهِ

ولَـــيسَ يَخفَـــى السَّـــيْلُ أنَّ كفَّـــهُ

قَـــادِرَةٌ ثَـــمَّ علـــى إغْراقـــهِ

لكنَّـــــهُ زَارَ حمَـــــاهُ طَارِقـــــاً

وَغـــادَةُ السَّـــمْحِ قِـــرَى طُرَّاقـــهِ

فَبـــاتَ فـــي أَزوادِهِ مُحكَّمـــاً

وَزَادَ حتَّـــى زادَ فـــي اسْـــتِغْراقِهِ

لَـــوْ أَتـــاهُ فـــي النَّـــدِي مُحاربـــاً

مَـــا قَـــدَرَ الغَيْـــثُ علـــى لِحَاقـــهِ

أَقـــدْ رأى الغَيـــثُ أَبَـــرَّ نـــائلاً

منـــهُ وأَحلَـــى منـــهُ فـــي مَذاقـــهِ

وَفَـــارَقَ المجمـــوعَ إلاَّ فَخْـــرَهُ

حَاشَـــاهُ أَنْ يَرْغَـــبَ فـــي فِرقـــهِ

ويقول :

ضاع في موسم الوقود سراجي

ضَـــاعَ فـــي مَوْسِـــمِ الوُقُـــودِ سِـــراجِي

طالمَـــــا ضَـــــاءَ والزَّمَـــــانُ زَمَـــــانُ

كـــانَ رَطْـــبَ اللِّســـانِ بَـــينَ كِـــرامٍ

عنـــهُ مَـــا جَـــفَّ مِـــن نَـــداهُمْ بَنَـــانُ

وَهُـــوَ الآنَ يَعـــرِكُ الأُذْنَ إنّـــي

طَـــالَ منـــهُ إلـــى المَـــديحِ لِسَـــانُ

ويقول:

بين اللواحظ والقلوب

بَـــــيْنَ اللُّـــــوَاحظِ والقُلُـــــوب

لا تَنْطفِـــــى نَـــــارُ الحُـــــزُوب

وَهُنَـــــاكَ لَيْـــثُ الغَـــاب يَحْـــذر

فَتْكَـــــةَ الرَّشَـــــأِ الرَّبِيـــــب

وأنَـــــا الجَـــــرِيحُ بِلَحْـــظِ مَـــنْ

تَلْقَـــــاهُ ذَا خَـــــلٌ خَضِـــــيب

يُخفِـــــى دَمِـــــي وَلَقَلَّمَـــــا

تَخْفَـــــى إشَـــــاراتُ المُرِيـــــب

ويقول:

إليــكَ بِــالإذْنِ صــارَ النــاسُ والجُــودُ

فَــــلا عَــــدِمْنا فَقِيــــداً فِيــــكَ مَوجُــــودْ

ولِلرَّبِيــــعِ لِســــانٌ ظَــــلَّ يُنشِــــدُنا

النَّبــــتُ أغيَــــدُ والسُّــــلطانُ مَحمــــودْ

وأقبَــلَ الغَيــثُ منــهُ حَاجِبــاً ملِكــاً

كَــمْ شــاعَ يَومــاً لــهُ بالنَّصــرِ مَشــهودْ

والنِّيلُ كَمْ حَسَــدَ القاضِــي علــى مَلِــكٍ

تَصــوَّرَ الجُــودُ فيــهِ بَــلْ هُــوَ الجُــودْ

مَلْــكٌ يَصــدُّ بِنُعمــاهُ القلــوبَ علــى

ماهَذَّبَتْــــهُ بــــهِ آبــــاؤهُ الصِّــــيدُ

فَيَــا لَجُــودِ العَــوالي والجــدودِ معــاً

لِــــولؤهُ حَيــــثُ حَــــلَّ الــــنَّجْمُ مَعْقُــــودْ

لَـــهُ شَـــرِيعةُ عَـــدلٍ عِنْـــدَها شَـــرَعُ

سَـــدُّ الفَـــلا والمهَـــا والشَّـــاءُ والسِّـــيدُ

يَا نَـــاظِمَ الطَّعْـــنِ فِـــي لَبَّـــاتِ خَنْـــدَهِ

كَصَـــنعَةٍ مَـــا خَـــلا مِـــن نَظْمِـــهِ جِيـــدُ

لَقَـــد أَتَيْـــتُ بِهَـــا جُهْـــدَ المُقِـــلِّ

وَلِلسَّـــارِي بِهَـــا وَمُقِـــيمُ الـــدَّارِ تَغْرِيـــدُ

تعصي الإله وأنت تظهر حبه

تَعصي الإلَهَ وَأنتَ تُظهِرُ حُبَّه ... هَذا مُحالٌ في القِيــاسِ بَــديعْ

لَو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأطَعتَــهْ ... إنَ المُحبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيــعُ

في كُلِّ يَــومٍ يَبتَليــكَ بِنِعمَــةٍ ... مِنهُ وَأنتَ لِشُكرِ ذاكَ مُضــيعُ

صفي الدين الحلي

صَفِيّ الدينِ الحِلّي عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم، السنسي الطائي.

شاعر عربي نظم بالعامية والفصحى، ينسب إلى مدينة الحلة العراقية التي ولد فيها. عاش في الفترة التي تلت مباشرة دخول المغول لبغداد وتدميرهم الخلافة العباسية مما أثر على شعره، نظم بيتا لكل بحر سميت مفاتيح البحور ليسهل حفظها.

له مؤلفات منها :

- (ديوان شعر).
- و(العاطل الحالي). رسالة في الزجل والموالي.
- و(الأغلاطي) معجم للأغلاط اللغوية.
- و(درر النحور)، وهي قصائده المعروفة بالأرتقيات.
- و(صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء).
- و(الخدمة الجليلة) رسالة في وصف الصيد بالبندق.

ولد سنة (٦٧٥ - ٧٥٠ هـ / ١٢٧٦ - ١٣٤٩ م) ونشأ في الحلة، بين الكوفة وبغداد، واشتغل بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في تجارته ويعود إلى العراق. انقطع مدة إلى أصحاب ماردين فتقرب من ملوك الدولة الأرتقية ومدحهم وأجزلوا له عطاياهم.

ورحل إلى القاهرة، فمدح السلطان الملك الناصر وتوفي ببغداد.

ومن أشعاره الشهيرة التي لا تزال ترددها الألسنة :

سلى الرماح العوالي عن معالينا

واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

بيض صنائعنا سود وقائعنا

خضر مرابعنا حمر مواضينا

لا يمتطى المجد من لم يركب الخطرا

ولا ينال العلا من قدم الحذرا

عاش صفي الدين الحلي في الحلة والموصل والقاهرة وماردين وبغداد التي توفي فيها. كان أول من نظم البديعيات.

له ديوان (درر النحور في مدح الملك منصور) ، وهو يحتوي على ٢٩ قصيدة كل منها يتكون من ٢٩ بيتا تبدأ أبيات كل قصيدة منها وتنتهي بأحد أحرف اللغة العربية.

نظم الحلّي في فنون الشعر باللهجة المحكية في زمانه.

فكتب في فنون : - الزجل - والموشح

- والقومة.

كما كان أول من صنف كتاباً مختصاً بالشعر العربي العامي ، أورد فيه نماذج من ذلك الشعر في زمنه ضمت أشعاراً نظمها بنفسه.

من شعره :

كـــن عـــن همومـــك معرضـــا

وكـــل الأمـــور إلـــى القضـــا

وانعـــــم بطـــــول ســـــلامة

تســـــليك عمـــــا مضـــــى

فلربمـــــا اتســـــع المضـــــيق

وربمـــــا ضـــــاق الفضـــــا

ولـــــرب أمـــــر مســـــخط

لـــك فـــي عواقبـــه رضـــا

الله يفعـــــل مـــــا يشـــــاء

فـــــلا تكـــــن متعرضـــ

ومن رائع ما قال :

(سلي الرماح العوالي عن معالينا)

سلي الرماحَ العوالي عن معالينـــا ... واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

وسائلي العُربَ والأتراك مافعلتْ ... في أرض قبـــر عبيـــد الله أيـــدينا

لما سعينا، فمـــا رقَّـــت عزائمُنـــا ... عمّا نـــروم، ولا خابـــت مســـاعينا

يايوم وقعـــةِ زوزاءالعـــراق وقـــد ... دنّا الأعادي كمـــا كـــانوا يـــدينونا

بضـــمَّرٍ مـــا ربطناهـــا مســـوّمةً ... إلاّ لنغزو بها مـــن بـــات يغزونـــا

وفتيةٍ إنْ نقل أصـــغَوا مســـامعهم ... لقولنـــا، أو دعونـــاهم أجابونـــا

قومٌ إذا استخصِموا كانوا فراعنـــةً ... يوماً، وإن حُكّموا كـــانوا موازينـــا

تدرّعوا للعُلى جلباباً، فإن حَميـــتْ ... نار الوغى خِلـــتهم فيهـــا مجانينـــا

إذا ادّعَوا جاءت الـــدنيا مصـــدّقة ... وإن دعـــوا قالـــت الأيـــام: آمينـــا

إنّ الزرازيـــر لمّـــا قـــام قائمهـــا ... توهّمت أنهـــا صـــارت شـــواهينا

ظنّت تأنّي البزاة للشهب عن جزع ... وما درت أنـــه قـــد كـــان تهوينـــا

بيادق ظفرت أيدي الرّخاخ بهَا ولو تركناهم صادوا فرازينا

ذلّوا بأسيافنا طول الزمان، فمذ تحكّموا أظهروا أحقادهم فينا

لم يغنهم مالنا عن نهب أنفسنا كأنّهم في أمان من تقاضينا

أخلوا المساجد من أشياخنا وبغوا حتى حملنا، فأخلينا الدواوينا

ثمّ انثنينا، وقد ظلت صوارمنا تميس عجباً، ويهتزّ القنا لينا

وللدماء على أثوابنا عَلَق بنشره عن عبير المسك يغنينا

فيا ليا دعوةً في الأرض سائرة قد أصبحت في فم الأزمان تلقّينا

إنّا لَقومٌ أبت أخلاقنا شرفاً أن نبتدي بالأذى مَن ليس يؤذينا

بيضٌ صنائعنا، سود وقائعنا خضر مرابعنا، حمر مواضينا

لايظهر العجز منّا دون نيل منىً ولو رأينا المنايا في أمانينا

ما أعوزتنا فرامينٌ نصول بها إلاّ جعلنا مواضينا فرامينا

إذا جرينا إلى سوق العلى طلقاً إن لم نكن سبّقاً كنا مصلّينا

تدافع القَدَرَ المحتوم همّتنا عنّا ونخصم صرف الدهر لوشينا

نغشى الخطوب بأيـدينا، فنـدفعها وإن دهتنـا دفعناهـا بأيـدينا

ملك إذا فوّقـت نبـل العـدوّ لنـا رمت عزائمه مَـنْ بـات يرمينـا

عـزائمٌ كـالنجوم الشـهب ثاقبـة مازال يحـرق مـنهنّ الشـياطينا

أعطى فلا جوده قد كان من غلـط منه ولا أجره قـد كـان ممنونـا

كم من عدو لنا أمسـى بسـطوته يبدي الخضوع لنا خـتلاً وتسـكينا

كالصـلّ لينـاً عنـد ملمسـه حتى يصادف في الأعضاء تمكينـا

يطوي لنا الغدر في نصح يشير به ويمزج السمّ فـي شـهد ويسـقينا

وقد نغصّ ونغضي عـن قبائحـه ولم يكن عجـزاً عنـه تغاضـينا

لكن تركنـاه إذ بتنـا علـى ثقـة أنّ الأميـر يكافيـه فيكفينـا

لا يمتطي المجدَ من لم يركب الخطرا

لا يمتطي المجدَ من لم يركب الخطـــرا، ولا ينالُ العلى مـــن قـــدمَ الحـــذرا

ومن أرادَ العلى عفواً بـــلا تعـــبٍ، قضَى ، ولم يَقضِ من إدراكِها وطـــرا

لابدَّ للشـــهدِ مـــن نحـــلٍ يمنعـــهُ، لايجتني النفعَ من لم يحملِ الضررا

لا يُبلَغُ السّـــؤلُ إلاّ بعـــدَ مُؤلمـــةٍ، ولا تَـــتِمُّ المُنـــى إلاّ لِمَـــنْ صَـــبَرَا

وأحزَمُ النّاسِ مَن لو ماتَ مِنْ ظَمإٍ، لا يَقرَبُ الوِردَ حتى يَعرِفَ الصَّدَرَا

وأعزَرُ النّاسِ عَقلاً مَن إذا نظَرَتْ عيناهُ أمراً غـــدا بـــالغيرِ معتبـــرا

فقَد يُقالُ عِثارُ الرِّجلِ إن عثـــرَتْ، ولا يُقالُ عِثـــارُ الـــرّأيِ إنْ عَثَـــرَا

من دبرض العيشَ بالآراء دامَ لـــهُ صفواً، وجاءَ إليهِ الخطبُ معتـــذرَا

يَهونُ بالرّأيِ ما يَجري القَضاءُ بِه، من أخطأ الرأيَ لا يستذنبُ القـــدرَا

من فاتهُ العـــزُّ بـــالأقلامِ أدركَـــهُ بالبِيضِ يَقدَحُ من أعطافِها الشّـــرَرَا

بكلّ أبيَضَ قد أجرى الفرِنـــدُ بـــهِ ماءَ الرّدى ، فلو استقطرتَه قطـــرَا

خاضَ العجاجةَ عرياناً فما انقشعتْ حتى أتى بـــدمِ الأبطـــالِ مـــؤتزرَا

لايحسنُ الحلمُ إلاّ في مواطنِهِ، ولا يليقُ الوفا إلاّ لمنْ شكرا

ولا ينالُ العُلى إلاّ فتًى شرفتْ خِلالُهُ، فأطاعَ الدّهرَ ما أمرا

كالصّالحِ المَلِكِ المَرهوبِ سَطوتُه، فلو توعّدَ قلبَ الدّهرِ لا نفطرا

لمّا رأى الشرَّ قد أبدَى نواجذَهُ، والغدرَ عن نابِهِ للحربِ قد كشرا

رأى القسيَّ إناثاً في حقيقتِها، فعافَها، واستشارَ الصّارمَ الذكرا

فجرّدَ العزمَ من قَتلِ الصّفاحِ لها ملكٌ عن البيضِ يستغني بما شهرا

يكادُ يُقرأُ منْ عُنوانِ همّتِهِ ما في صحائفِ ظهرِ الغيبِ قد سُطرا

كالبحرِ والدّهرِ في يومَيْ ندًى وردًى، والليثِ والغيثِ في يومَيْ وغًى وقرى

ما جادَ للناسِ إلاّ قبلَ ما سألوا، ولا عفا قطّ إلاّ بعدما قدرَا

لاموهُ في بذلِهِ الأموالَ، قلتُ لهم: هل تَقدُرُ السُّحبُ ألاّ تُرسلَ المطرَا

إذا غدا الغصنُ غضًّا في منابتِهِ، من شاءَ ذليجنِ من أفنانِهِ الثمرَا

من آلِ ارتقَ المشهورِ ذكرهُمُ، إذ كانَ كالمسكِ إن أخفيتَهُ ظهرَا

الحاملينَ منَ الخطيِّ أطولَهُ، والناقلينَ من الأسيافِ ما قصرا

لم يَرحلوا عن حمى أرضٍ إذا نزلوا ... إلاّ وأبقَوْا بها مَن جودهم أثرا

تَبقَى صنائعُهم في الأرضِ بعدَهمُ، ... والغيثُ إن سارَ أبقَى بعدَهُ الزَّهرا

لِلّهِ درُّ سَما الشّهباءِ من فلَكٍ، ... فكلّما غابَ نجمٌ أطلعتْ قمرا

يا أيّها الملكُ الباني لدولتِهِ ... ذكراً طوَى ذكرَ أهل الأرض وانتشرا

كانتْ عِداكَ لها دَستٌ، فقد صَدَعتْ ... حَصاةُ جَدّك ذاك الدّستَ فانكسرا

فاوقعْ إذا غدروا سوطَ العذابِ بهمْ ... يظلّ يخشاكَ صرفُ الدّهرِ إن غدرا

وارعبْ قلوبَ العدى تُنصَرْ بخذْلِهِمُ، ... إنّ النبيّ بفضلِ الرّعبِ قد نُصِرا

ولا تكدّرْ بهمْ نفساً مطهرةً ، ... فالبحرُ من يومِهِ لا يعرفُ الكدرا

ظَنّوا تأنّيكَ عن عَجزٍ، وما علِموا ... أنّ التأنّيَ فيهمْ يعقبُ الظفرا

أحسَنتُمُ، فبَغَوا جَهلاً وما اعترَفوا ... لكم، ومن كفرَ النُّعمى فقد كفرا

واسعدْ بعيدك ذا الأضحى وضحّ بهِ ... وصلْ وصلّ لربّ العرشِ مؤتمرا

وانحَرْ عِداكَ فبالإنعامِ ما انصلَحوا، ... إنْ كانَ غيرك للأنعامِ قد نحرا

ولشاعرنا قصيدة معجَمة ليس فيها حرف مهملَ (غير منقوط) يقول فيها :

فُتِنْتُ بظَبْي بَغَى خَيبَتي

بِجَفْن نَفَنَّ في فِتَنِي

تَجَنَّى، فبِتُّ بجَفْن يَفيضُ

فخَيَّبْتُ ظَنِّي في يَقظَتي

قَضيبٌ يَجيءُ بِزيٍّ يَزينُ

تَثَنَّى، فذُقتُ جَنى جَنَّةِ

نَجيبٌ يُجيبُ بفَنٍّ يُذيبُ

بِبَضٍّ خَضيب نَقَى خيفَتي

بجَفْن يجيءُ بِبيض غَزَتْ

تَهَجَّ، فتَفذُ في جُبَّتي

غنيٌّ يَضَنُّ بنَضٍّ نَقِيّ

فيَقضي بغَبني في بُغيَتي

تنقظ بي غنج جفن غضيض

بفنٍ يشنّ ضنى جُنّتي

وهناك نوع آخر من شعره يسمّى الشعر العاطل أو المهمل، والذي يتميز بخلو كلماته من النقط بقوله:

سَدَدَ سَهماً ما عَدا روعَه

وروّعَ العُصمَ، وللأُسْدِ صادْ

أمالكَ الأمرِ أرخ هالكاً

مدرِعاً للهَمّ درعَ السّوادْ

أراهُ طولُ الصدّ لمّا عَدَا

مَرامَهُ ما هَدّ صُمَّ الصِّلادْ

ودّ وداداً طارِداً هَمَّهُ

وما مُرادُ الحُرّ إلاّ الوَدادْ

والمكرُ مكروهٌ دَهاها أهلَهُ

وأهلَكَ اللهُ لهُ أهلَ عادْ

كما له قصيدَة كلّ كلمة من كلماتها مُصَغّرة:

قال في وصف الحبيب

نُقَـيط مـن مُسـيك فـي وُريـد

خُويلـك أم وُشـيم فـي خُديـد

وذيـاك اللويمـعُ فـي الضُـحيا

وُجيهـك أم قُميـر فـي سُـعيد

ظُبـي بـل صُـبيّ فـي قُبـى

مُرَيْبيـب العطيْـوة كالأسـيد

مُعيشـيق الحُريكـة والمحيـا

مميشـيقُ السُـويلف والقُيْـد

مُغَيْسـيل للُمـيّ لـه ثُغَيْـرٌ

رُوَيْقتُـه خُميـرٌ فـي شُـهيد

جُفَيْني مـن هُجَيـرك فـي سُـهيد

أُطيولُ من مُطيلـك فـي الوُعيـد

ومن شعره (الأرتقيات) وهو نوع من القصائد كتبها وفق نظام معين هو :

أن يكون الحرف الأول في البيت هو نفس حرف الروي :

فإذا كان الحرف الأول الكاف كان حرف الروي الكاف أيضا مثل :

كفي القتال وفكي قيد اسراك

يكفيك ما فعلت بالناس عيناك

كلت لحاظك مما قد فتكت بنا

فمن ترى في دم العشاق أفتاك

كفاك ما أنت بالعشاق فاعلة

لو انصف الدهر في العشاق عزاك

كملت لوصاف حسن غير ناقصة

لو أن حسنك مقرون بحسناك

كيف انثنيت إلى الأعداء كاشفة

غوامض السر لما استنطقوا فاك

كتمت سرك حتى قال فيــك فمـــي

شعرا ولم يدر أن القلـــب يهـــواك

****

كدت المحب فمـــاذا أنـــت طالبـــة؟

فنى محبك مـــع إشـــمات أعـــداك

كـــافيتني بـــذنوب لســـت أعرفهـــا

فسامحي واذكري من ليس يســـلاك

كلفتني حمل أثقـــال عجـــزت بهـــا

وحبذا ثقلهـــا إن كـــان أرضـــاك

كابدت هول السرى في البيد مكتسبا

مالا وما كنت ابغي المال لـــولاك

كلا ولا بت اطـــوي كـــل مقفـــرة

ومهمة لـــم تســـر فيهـــا مطايـــاك

كان فيه السـما والأرض واحـدة

ونوقنا نجب نـور تحـت أمـلاك

وإذا كانت القافية تنتهي بحرف القاف، كان أوائل الأبيات تبدأ بحرف القاف أيضاً كقوله:

قفي ودّعينا قَبْـلَ وشـكِ التّفـرّق

فما أنا من يحيى إلى حـين نلتقـي

قَضَيْتُ وما أودى الحمامُ بمُهجتـي

وشِبْتُ وما حلّ البيـاض بمفرقـي

قرنْتِ الرّضى بالسّخط والقُرب بالنوى

ومزّقتِ شَمْلَ الوصل كلّ مُمـزّق

قبلتِ وصايا البحر من غير ناصح

وأحيَيْتِ قولَ الهَجْرِ منْ غيرِ مُشفق

إذا كانت القافية ميميّة كانت أوائل الأبيات كذلك كقوله:

مغـانم صـفو العـيش أسمـى المغـانم

هي الظـلّ إلاّ أنّـه غيـر دائـم

ملكتُ زمام العيش فيهـا وطالمـا

رفعتُ بها لولا وقـوع الجـوازم

وهنـاك قصائد نظمها شاعرنا الحلّي تنتهي بالياء وتبدأ أبياتها بالياء أيضاً، ولكن تمتاز بأنّها تقرأ مقلوبة بقوله:

يَلـــذُّ ذُلّـــي بنضـــو لَوْضَـــنّ بـــي لَـــذَّ ذُلّـــيْ

يُلـــمُّ شَـــمْلِيْ لِحُسْـــن إنْ سَـــحَّ لِـــيْ لَـــمَّ شَـــمْلِيْ

البهاء زهير

هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبي، المعروف ببهاء الدين. ينتهي بنسبه إلى المهلب بن أبي صفرة. شاعر من العصر الأيوبي.

وُلد في تهامة قرب مكة، سنة 581، نزحت أسرته وهو صغير إلى مصر بمدينة قوص مجتمع بعض الأمراء والعلماء والفقهاء وتلقى تعليمه فيها وتنقل بين القاهرة وغيرها في مصر.

ولما ظهر نبوغه وشاعريته التفت إليه الحكام بقوص فأسبغوا عليه النعماء وأسبغ عليهم القصائد. وطار ذكره في البلاد وإلى بني أيوب فخصوه بعنايتهم وخصهم بكثير من مدائحه.

توثقت صلة بينه وبين الملك الصالح أيوب ويذكر أنه استصحبه معه في رحلاته إلى الشام وأرمينية وبلاد العرب.

يقول عنه ابن خلكان في ترجمته:

من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخطا ومن أكبرهم مروءة كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب بن الملك الكامل بالديار المصرية وتوجه في خدمته إلى البلاد الشرقية وأقام بها إلى أن ملك الملك الصالح مدينة دمشق فانتقل إليها في خدمته وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح وخرجت عنه في دمش وخانه عسكره وهو على نابلس وتفرق عنه وقبض عليه ابن عمه الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقله بقلعة الكرك فأقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بغيره ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية وقدم إليها في خدمته

وذلك في أواخر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة. وكنت يومئذ مقيما بالقاهرة وأود لو اجتمعت به لما كنت أسمع عنه فلما وصل اجتمعت به ورأيته فوق ما سمعت عنه من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا وكان متمكنا من صاحبه كبير القدر عنده لا يطلع على سره الخفي غيره ومع هذا كله فإنه كان لا يتوسط عنده إلا بالخير ونفع خلقا كثيرا بحسن وساطته وجميل سفارته. وأنشدني شيئا كثيرا وشعره كله لطيف وهو كما يقال السهل الممتنع وأجازني رواية ديوانه وهو كثير الوجود بأيدي الناس فلا حاجة إلى الإكثار من ذكر مقاطيعه. ثم حصل بمصر والقاهرة مرض عظيم لم يكد يسلم منه أحد وكان بهاء الدين المذكور ممن مسه ألم فأقام به أياما ثم توفي.

حاسب زمانك في حـــالي تصـــرفه

تجده أعطاك أضعاف الـــذي ســـلبا

والله قـــد جعـــل الأيـــام دائـــرة

فلا ترى راحـــة تبقـــى ولا تعبـــا

عن شعره :

أثر عنه أنه يأتي بهذه الأوزان الخفيفة ليطالعنا بقدرته الفنية في إحراج أوزان تنساب فيها النغمات العذبة في جوها الموسيقي الحافل بالألحان الشجية فصارت بهذه الأوزان قصائده شعراً غنائياً جميلاً. وقد علق على هذه الأوزان المرحوم مصطفى عبد الرزاق حين قال: "انتشرت في عهد البهاء زهير أوزان التواشيح الآتية من الأندلس وذلك لا بدّ أن يكون نبه الشعراء إلى فن من الألحان الشعرية جديد، فاهتدت العطر الموسيقية إلى اختيار البحور اللطيفة والأوزان الموفورة الحظ من الموسيقى ومن التأثير. وهذا شأن البهاء زهير، فإننا نجده في غير شعر المديح قلما يركن إلى غيره من الأوزان الخفيفة.

يقول:

مضى الشباب وولى ما انتفعت بـــه

وليتـــه فـــارط يرجـــى تلافيـــه

أوليت لي عمـــلا فيـــه أســـر بـــه

أوليته ما جرى لي ما جـــرى فيـــه

فاليوم أبكي على ما فـــاتني أســـفا

وهل يفيـــد بكـــائي حـــين أبكيـــه

واحســـرتاه لعمـــر ضـــاع أكثـــره

والويل إن كـــان باقيـــه كماضـــيه

ومن جميل الحكم التي قالها :

لا تعتب الدهر في حال رماك بـــه

إن اســـترد فقـــدما طالمـــا وهبـــ

يقول في الغزل:

تعيش وتبقى

تعـــــيشُ أنـــــتَ وتبقـــــى

أنـــــا الـــــذي مُـــــتُ حفـــــا

حاشـــــاكَ يـــــا نـــــورَ عَينـــــي

تلقـــــى الـــــذي أنـــــا ألقـــــى

قـــد كـــان مـــا كـــان منـــي

واللهُ خَيـــــــــرٌ وأبقـــــــــى

ولـــم أجـــدْ بـــين مـــوتي

وبـــــين هجـــــرك فرقـــــا

يـــا أنعـــم النـــاس بـــالاً

إلـــى متـــى فيـــكَ أشـــقى

سَـــمعْتُ عَنـــكَ حَـــديثا

يـــاربّ لا كـــان صـــدقا

حاشـــــاكَ تـــــنقْض عهـــــدي

وَعُرْوتـــــي فيـــــكَ وُثقـــــى

ومـــــــــا عَهـــــــــدتُكَ إلا

مـــــن أكـــــرمَ النـــــاس خُلقـــــا

يـــــا ألـــــفَ مَـــــوْلايَ مَهْـــــلا

يـــــا ألـــــف مـــــوْلايَ رفقـــــا

لـــــك الحيـــــــاةُ فـــــــإني

لَمـــــوتٌ لاشـــــكَ عشـــــقا

لـــــــم يَبـــــــقَ منـــــــي إلا

بَقيّـــــــةٌ لـــــــيس تبقـــــــى

ومن غزله الرقيق قصيدة :

سلامي على من لا أسميه

اقرأ سلامي على مَن لا أسـمّيه ... ومَن بروحي منَ الأسواء أفديـهِ

ومَنْ أُعرضُ عَنهُ حـينَ أذكُـرُهُ ... فإن ذكَرْتُ سواهُ كنـتُ أعنيـهِ

أشرِ بذكْرِيَ في ضمن الحَديثِ له ... إن الإشارةَ فـي مَعنـايَ تكفيـهِ

وأسألهُ إن كانَ يُرضيه ضَنى جسدي ... فحبّذا كل شيء كـانَ يرضـيهِ

فليت عين حبيبي في البُعادِ تَرى ... حالي وما بي من ضُـر أقاسـيهِ

هل كنتُ من قوم موسى في محبتَـه ... حتى أطالَ عذابي منـهُ بالتيـه

أحببتُ كل سميّ في الأنـام لـهُ ... وكلّ مَن فيه معنى مـن مَعانيـهِ

يغيبُ عنـي وأفكـاري تُمثّلُـهُ ... حتى يُخيّـل لـي أنـي أناجيـهِ

لا ضَيمَ يَخشاه قلبي والحبيبُ بِـهِ ... فإنّ سـاكن ذاك البيـتِ يَحميـهِ

من مثل قلبي أو من مثل سـاكنه ... الله يحفـظُ قلبـي والـذي فيـهِ

يا أحسنَ الناس يا مَن لا أبوح به ... يا من تجنّى وما أحلى تجنّيهِ

قد أتعس الله عينًا صرتَ توحشها ... وأسعد الله قلباً صرتَ تأويهِ

مولاي أصبح وجدي فيكَ مشتهرًا ... فكيف أستُرُهُ أم كيف أُخفيهِ

وصارَ ذِكريَ للواشي بهِ ولَعٌ ... لقد تكلّفَ أمرًا ليس يَعنيهِ

فمَن أذاعَ حديثاً كنتُ أكتُمُهُ ... حتى وجدتُ نسيمَ الرّوْض يرويهِ

فيا رَسولي تَضرّعْ في السؤالِ لهُ ... عَساكَ تَعطفُهُ نَحوي وتَثنيهِ

إذا سألتَ فسَلْ مَن فيهِ مكرُمَةٌ ... لا تَطْلُبِ الماءَ إلا من مَجاريهِ

إلى كمْ أداري ألفَ واشٍ وحاسدَ ؟

إلى كمْ أداري ألْفَ وَاشٍ وحاسـدٍ؟ فمن مرشدي من منجدي من مساعدي

ولوْ كانَ بعضُ النّاسِ لي منه جانبٌ وعيشكَ لم أحفـلْ بكـلّ معانـدِ

إذا كنتَ يا روحي بعهديَ لا تَفي فمَن ذا الذي يرْجو وَفاءَ مَعاهدي

أظنّ فؤادي شـوقهُ غيـرُ زائـدٍ وأحسَبُ جَفني نَوْمُهُ غَيرُ عائـدِ

أبـى اللهُ إلاّ أنْ أهـيمْ صـبابة بحفظِ عهـودٍ أوْ بـذكرِ معاهـدِ

وكم مَوْرِدٍ لي في الهوَى قد وَرَدتُـهُ وضيعتُ عمري في ازدحامِ الموارِدِ

وَما ليَ مَن أشتاقُهُ غيـرُ واجـدٍ فلا كانَتِ الدّنيا إذا غابَ وَاحدي

أأحْبابَنا أينَ الـذي كـانَ بَيْننـا؟ وَأينَ الذي أسلَفتُمُ مـن مَواعِـدِ؟

جعلتكُمُ حَظّي منَ النّـاسِ كلّهـم وأعرضتُ عن زيدٍ وعمرو وخالـدِ

فلا تُرْخِصُوا وِدّاً عليكم عرَضتُهُ فيا رُبّ مَعرُوضٍ وليسَ بكاسِـدِ

وحقكمْ عندي لـــهُ ألـف طالـــبِ ... وألفُ زبـــونٍ يشـــتريهِ بزائـــدِ

يَقولونَ لي أنتَ الذي سارَ ذكـــرُهُ ... فمنْ صادرٍ يُثنـــي عليـــهِ وواردِ

هبوني كما قد تزعمونَ أنا الـــذي ... فأينَ صلاتي مـــنكُمُ وَعَوائـــدي؟

وقد كنتمْ عوني على كلّ حـــادثٍ ... وذُخري الذي أعدَدتُـــهُ للشّـــدائدِ

رَجَـــوتُكُمُ أنْ تَنصُـــرُوا فخَـــذَلتُمُ ... على أنّكمْ سَيفي وكَفّي وســـاعدي

فَعلتمْ وقُلتمْ وَاســـتَطَلتمْ وجُـــرتمْ ... ولَستُ عليكم في الجَميعِ بواجِـــدِ

فجـــازيتمُ تلـــكَ المـــودةَ بـــالقلى ... وذاكَ التّـــداني مـــنكُمُ بالتّباعُـــدِ

إذا كانَ هذا في الأقاربِ فِعلُكُـــمْ ... فمـــاذا الـــذي أبقيـــتمُ للأباعـــدِ؟

أنا في الحب صاحب المعجزات

أنا في الحبّ صاحبُ المعجـزاتِ ... جئـتُ للعاشـقينَ بالآيـاتِ

كانَ أهْـلُ الغـرامِ قَبلـيَ أُمّـيّ ... يـنَ حتـى تلقنـوا كلمـاتي

فأنا اليوْم صاحبُ الوقـتِ حقّـاً ... والمحبـونَ شـيعتي ودعـاتي

ضربتْ فيهمْ طبـولي وسـارتْ ... خافِقـاتٍ عَلَـيهِمْ رايـاتي

خَلَبَ السّامعينَ سِـحرُ كلامـي ... وَسرَتْ فـي عُقُـولِهِمْ نفثـاتي

أينَ أهلُ الغـرامِ أتلـو عليهمْ ... باقياتٍ منَ الهـوى صـالحاتِ؟

خُتِمَ الحُبُّ من حَـديثي بمِسـكٍ ... ربّ خيرٍ يجيءُ فـي الخاتمـاتِ

فعلـى العاشـقينَ منـي سـلامٌ ... جاءَ مثلَ السلامِ فـي الصـلواتِ

مَذهبي في الغرامِ مَـذهبُ حَـقٍّ ... ولَقـد قُمـتُ فيـهِ بالبَيّنَـاتِ

فلَكَم فـيّ مـن مَكـارمِ أخـلا ... قٍ وكمْ فيّ من حميـدِ صـفاتِ

لستُ أرْضَى سوَى الوَفاءِ لذي الو ... دِّ ولَوْ كانَ فـي وَفـائي وَفـاتي

وألـوفٌ فلَـوْ أفـارقُ بؤسـاً ... لَتوالَـيْتُ لفقْـدِهِ حسَـرَاتي

طاهرُ اللّفـظِ والشّـمائلِ وَالأخْ ... لاقِ عَفُّ الضّـميرِ وَاللّحَظـاتِ

ومعَ الصـمتِ والوقـارِ فـإني ... دَمِثُ الخُلْـقِ طيّـبُ الخَلَـوَاتِ

يَعشَقُ الغُصْنَ ذا الرشاقَةِ قَلْبـي ... ويحـبّ الغـزالَ ذا اللفتـاتِ

وحبيبي هـوَ الـذي لا أسميـ ... ـهِ على ما استَقَرّ منْ عـاداتي

ويقولونَ عاشقٌ وَهـوَ وَصْـفٌ ... من صـفاتي المقومـاتِ لـذاتي

إنّ لـي نيـةً وقـد علـمَ اللـ ... ـهُ بهـا وهـو عـالمُ النيـاتِ

يـا حَبيبـي وَأنـتَ أيُّ حَبيـبٍ ... لا قضـى اللهُ بيننـا بشـتاتِ

إنّ يَوْمـاً تـراكَ عَينـيَ فيـهِ ... ذاكَ يـوْمٌ مُضـاعَفُ البركـاتِ

أنتَ روحي وقد تملّكتَ روحـي ... وحيـاتي وقـد سـلبتَ حيـاتي

مُـتُّ شَـوقاً فـأحيني بوِصـالٍ ... أخبرِ الناسَ كيفَ طعمُ الممـاتِ

وكما قد علمتَ كلُّ سُرورٍ ... ليس يبقى ، فوات قلّ الفوات

فرعى اللهُ عهد مصرٍ وحيّا ... ما مضى لي بمصر منْ أوقات

حبذا النيلُ والمراكبُ فيهِ ... مُصْعداتٍ بنا ومُنحدرات

هاتِ زدني من الحديثِ عن النيـ ... ـلِ ودعني من دجلةٍ وفرات

ولياليّ في الجزيرةِ والجيـ ... ـزةِ فيما اشتهيتُ من لذات

بينَ روْضٍ حكى ظُهورَ الطواوي ... سِ وَجوٍ حكى بُطونَ النّراة

حيثُ مجرى الخليجِ كالحيةِ الرقـ ... ـطاءِ بينَ الرياض والحسنات

وتَديمٍ كما نُحبّ ظَريفٍ ... وعلى كلّ ما نحبّ مواتي

كلُّ شيءٍ أردتُهُ فهْوَ فيهِ ... حسنُ الذاتِ كاملُ الأدوات

يا زماني الذي مضى يا زماني ... لكَ منّي تواترُ الزفرات

نصير الدين الحمامي

هو نصير الدين، واسمه أحمد بن علي المناوي، توفي سنة ٧٠٨ د. من شعراء الظرف والحرفة، ومن أصحاب الموضحات. له قوله:

اشتهر بنسبته الحمامي لأنه كان يعمل في اكتراء الحمامات ليعتاش منها وهو أحد الشعراء أرباب الحرف والمهن في العصر المملوكي . فقد كان يرتزق بضمان الحمامات شأنه شأن أقرانه من شعراء العصر الذي أوصدت أبواب المماليك في وجوههم فارتدوا على صنائعهم التي ورثوها عن آبائهم . أو تعلموها ليسترزقوا منها ويصونوا أنفسهم عن ذل المسألة .

من شعره :

قال يصف داره

ودار خـــراب نزلـــت بهـــا ولكـــن نزلـــت إلـــى الســـابعة

فلا فرق بين أنـــي أكـــون بهـــا أو أكـــون علـــى القارعـــة

تســـاورها هفـــوات النســـيم فتـــنفض بـــلا إذن ســـامعة

وأخشى بهـــا أن أقـــيم الصـــلاة فتســـجد حيطانهـــا راكعـــة

إذا مـــاقرأت(إذا زلزلـــت) خشـــيت بـــأن تقـــرأ (الواقعـــة)

ويقول في موشحة كتبها إلى سراج الدين الوراق :

أهوى رشا في مهجتي مرتعه أتديه ربيب

لا بل قمرا في ناظري مطلعه لم يدر مغيب

حقف وهلال وغزال وغصن

إن قام وإن رنا وإن لاح وإن

والمؤمن كما قيل كيس فطن

قلبي أبدا إلى محياه يحن

ما أبعده وفي الحشا موضعه نائي وقريب

قد راق به شعري لمن يسمعه إذ كان حبيب

يا خجلة غصن البان لما خطر

يا حيرة بدر التم لما سفرا

يا غيرة ظبي الرمل لما نظرا

يا رخص فتيق المسك لما نثرا

من لؤلؤ نثره لمن يجمعه زاه رطيب

ما أسعد ما أعيا في تصنعه ! عقد الترتيب

دعني فحديث العشق إنك ومرا

عندي إنك الزمان والحق أرى

مدحي لسراج الدين نور الشعر

والكاتب عند الأمراء والوزرا

كم فيه فضيلة غدت ترفعه عن قدر أديب

والله بما قد حازه ينفعه والله مجيب

معنى شعره وفاق مغنى كرما

تلقاه إذا نحوته في العلما

المفرد في ومانه والعلما

وكن متمثلا رسومه إن رسما

فالفضل إليه كله مرجعه والرأي مصيب

لولا عمر الفصل عفت أربعه أو كان غريب

بالفرع غدت في شفق الخدين

كالدر يلوح نوره للعين

لمياء رماها هاجري بالبين

عنته وقد فارقها يومين

قد غاب ولي يومين ما أقشعه خلوه بغيب

لو راح إلى نجد انتا أتبعه حتى لو أصيب

وكتب إلى السراج الوراق يقول :

يأيهـــا المـــولى الســـرا	ج ومـــا جـــدا أعلـــى منـــاره
يـــا مـــن تحـــاوز فضـــله	حـــد القيـــاس مـــع العبـــارة
ـــا مـــن يلـــوح بوجهـــه	حســـن لنـــاظره نضـــاره
ـــا بـــدر تـــم كـــم عليـــه	غـــدت مـــن الفضـــلاء داره
كد فـــي انـــورى معنـــى تثيـــر	ولـــم أقـــل طـــورا وتـــارة
و اذا مـــــــدحناه فمـــــــا	فيـــــه صـــــفات مســـــتعاره
لمبشـــــــري إن زرتنـــــــي	بشـــرى ويحظـــى بالبشـــارة
يا واعـــدي فـــي الســـبت هـــذا	الســـبت جـــاء وشـــن غـــارة
متصـــــدقا زرنـــــي فـــــذا	يـــوم التصـــدق والزيـــارة